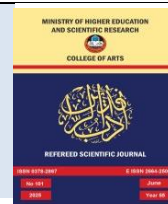


Adab Al-Rafidayn

https://ojs.uomosul.edu.iq/index.php/radab/



The Byzantine Policy towards the Islamic Presence in Kipchaks till the Mid 8th C.A.H / 14th C.AD

Imad Kamel Marei
Department of History / College of Arts / University of Mosul/ Mosul -Iraq

Article Information

Article History:
Received Dec **14/2024**
Revised Dec **28/12/2024**
Accepted Dec **29/12/2024**
Available Online September , 2025

Keywords:
Kipchak,
Byzantine,
Armenian,
Russian,
Muslim

Correspondence:
. Imad Kamel Marei
imad.k.m@uomosul.edu.iq

Abstract

The borders are among the most important sites that countries have been interested in throughout time because they form the borders between them. As soon as Muslims had a presence in the lands of the Kipchaks to the north and south, the Byzantine Empire took upon itself to adopt certain policies towards that presence, as it saw it as a threat to its northern and northeastern borders. It took care of the peoples and countries of those regions and tried to get close to them by all means and methods, to win them over to its side against the Islamic presence in the lands of the Kipchaks. Those methods were represented in trying to spread Christianity among them and unify the doctrine as much as possible, similar to the Church of Constantinople, and establishing fortifications, stirring up unrest, supporting rebellions, and forming military alliances with the countries of the north and south of the Kipchaks in order to destabilize the Islamic presence in the Kipchaks, in addition to the gifts, donations, privileges, and titles that it granted to the princes of those countries for the same purpose. The Byzantine Empire tried through that policy to push the Islamic presence and remove its threat from its northern and northeastern borders, especially After the Muslims penetrated in their conquests to the south of the Kipchak, and extended to the north of the Kipchak through peaceful means represented by the call to Islam and migration from the regions of Transoxiana (Central Asia) to the Atl River (Volga) basin, and the Mongols entered the north and south of the Kipchak and embraced the Islamic religion, and through this policy it was able to maintain its influence and political presence and delay the Islamic tide towards Anatolia and Constantinople .

DOI: 10.33899/radab.2024.155878.2283, ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.

السياسة البيزنطية تجاه الوجود الإسلامي في القفجاق حتى منتصف القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي

عماد كامل مرعي*

المستخلص:

تعد الثغور من اهم المواقع التي اهتمت بها الدول على مدار الزمن لكونها تشكل التخوم في ما بينها، فما ان اصبح للمسلمين وجود في بلاد القفجاق(1) شمالاً وجنوباً حتى اخذت الدولة البيزنطية على عاتقها اتخاذ سياسات معينة تجاه ذلك الوجود، إذ رأت فيه خطراً على

* **قسم التاريخ / كلية الاداب / جامعة الموصل/ الموصل** -العراق

تخومها الشمالية والشمالية الشرقية، فاهتمت بشعوب ودول تلك المناطق وحاولت التقرب منها بشتى الوسائل والطرق، لتكسبها إلى جانبها ضد الوجود الإسلامي في بلاد القفجاق، وتمثلت تلك الطرق في محاولة نشر المسيحية بينهم وتوحيد المذهب قدر الامكان على غرار كنيسة القسطنطينية، وإقامة التحصينات واثارة القلاقل ودعم التمردات وعقد التحالفات العسكرية مع دول شمال وجنوب القفجاق لغرض زعزعة الوجود الإسلامي في مناطق القفجاق، فضلا عن الهدايا والهبات والامتيازات والالقاب التي منحتها لأمراء تلك الدول للغرض نفسه، حاولت الدولة البيزنطية من خلال تلك السياسة ان تدفع الوجود الإسلامي وتبعد خطره عن تخومها الشمالية والشمالية الشرقية، لاسيما بعد توغل المسلمين في فتوحاتهم إلى جنوب القفجاق، وامتدادهم الى شمال القفجاق بالطرق السلمية المتمثلة بالدعوة الى الإسلام والهجرة من مناطق بلاد ماوراء النهر(آسيا الوسطى) إلى حوض نهر اتل (الفولغا)، ودخول المغول إلى شمال وجنوب القفجاق واعتناقهم للدين الإسلامي، واستطاعت من خلال تلك السياسة إبقاء نفوذها ووجودها السياسي وتأخير المد الإسلامي تجاه بلاد الاناضول والقسطنطينية.

الكلمات المفتاحية: القفجاق، البيزنطيون، الأرمن، الروس، المسلمون

المقدمة:

اهتمت الدولة البيزنطية منذ وقت مبكر بالقفجاق عموماً وبشماله المتمثل بدولة الخزر(2)، الاتراك والقبائل المنضوية تحت حكمها، والروس(3) وما سيطروا عليه من شعوب هناك، اما جنوبه فكانت الصلة فيه مع الارمن والكرج (جورجيا) وغيرهم من الشعوب المتاخمين لها، وينبع ذلك الاهتمام من وقوع القفجاق على تخومها الشمالية والشمالية الشرقية، فهو يشكل تهديداً مباشراً وطريقاً سهلاً للوصول الى القسطنطينية(4)، عاصمة الدولة البيزنطية.

وقد بدأ ذلك الاهتمام منذ ان استولت الدولة الساسانية في اواخر عصرها على جنوب القفجاق في بداية القرن (السابع الميلادي)، بعد ان كان اقليم اران(5) وجرزان(جورجيا)(6) تابعاً للخزر وباقي ارمينية للدولة البيزنطية فبدأ على اثرها التنافس البيزنطي الساساني على جنوب القفجاق وساهم ذلك التنافس في تحالف البيزنطيين مع الخزر ضد الدولة الساسانية(7)، إذ سار الامبراطور البيزنطي هرقل (610-641م) بقواته بعد سماعه بتلك الاخبار إلى اقليم لازيقا(8)، ومنه إلى تفليس(9) إذ التقى بالخزر هناك، فقام الجيشان البيزنطي والخزري بمهاجمة جنوب القفجاق وتمكنا من تحقيق العديد من الانتصارات على الساسانيين الا ان وصول الامدادات العسكرية من قبل الدولة الساسانية إلى جنوب القفجاق حال دون سقوطه في ايدي القوات المحاصرة، فقرر الخزر والبيزنطيون الانسحاب ثم العودة مرة ثانية في السنة التالية(10).

ومن خلال ذلك اللقاء ارتسمت السمات السياسية للتحالف البيزنطي الخزري في جهة الشرق، ولم تشر المصادر المتقدمة إلى تفاصيل محتوى ذلك التحالف، ولكن مما لا شك فيه انه كان يرتكز على التعاون العسكري والسياسي والاقتصادي ضد أي خطر يواجه مصالحهم في جنوب القفجاق الذي عد خطوط دفاع وتامين اولية لدولهم، فكانت الدولة الساسانية هي العدو الاقوى الذي يمكن ان يهدد مصالحهم، لذلك كان التحالف موجهاً ضدها.

وفي سنة (7هـ / 628م) قرر الامبراطور هرقل معاودة الهجوم على جنوب القفجاق، لإتمام ما حققه من انتصارات سابقة على الجيش الساساني، فزحف بجيشه وكتب إلى خاقان الخزر ليمده بأربعين الف مقاتل ووعده بان يصاهره ويزوجه ابنته، فوافقه خاقان الخزر على

([1]) القفجاق: هي بلاد واسعة سميت بالقفجاق (القفقاس او القوقاز) نسبة الى جبل القبج حسب ما اطلقت عليه المصادر الجغرافية الإسلامية في ذلك الوقت، وهي تشمل كل بلد له حد مع ذلك الجبل، وفي رواية أخرى اطلق عليها القفجاق نسبة الى قبيلة القفجاق التي طغى اسمها على كل البلاد المحاددة للجبل سواء في جنوبه او شماله، للمزيد عن التسمية والتخوم لتلك البلاد ينظر: مرعي، عماد كامل، طرق انتشار الإسلام في شمال القفجاق، بحث منشور في مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتاريخية، المجلد 10، العدد 34 الجزء1، تشرين الثاني 2023، ص154.

([2]) الخزر: قبيلة تركية نزحت من اواسط آسيا، واستقرت شمال جبل القفقاس وتمكنت من انشاء دولة عند مصب نهر أتل (الفِولغا) في بحر الخزر (قزوين) ومن مدنهم بلنجر وسمندر وخمليج وغيرها، اعتنقوا الديانة اليهودية، للمزيد من التفاصيل عنهم ينظر: مرعي، عماد كامل، العلاقات العربية الخزرية حتى نهاية العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى عمادة كلية الاداب، جامعة الموصل (2002م).

([3]) الروس: قبيلة نورمانية انطلقت من شبه الجزيرة الاسكندنافية، وبدأت تتوسع في شمال القفجاق، ولاسيما في حوض نهر الفولغا، مستقرين مع الصقالبة سكان البلاد الاصليين، وشكلوا لهم دولة بشمال في القرنين (الرابع والخامس الهجريين / العاشر والحادي عشر الميلاديين)، الدوري، عبد العزيز، الجغرافيون العرب وروسيا، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، المجلد (13)، سنة (1966م)، ص8.

([4]) القسطنطينية: هي دار ملك البيزنطيين وعاصمتهم واسمها إسطنبول عمرها الامبراطور قسطنطين الأول(323-337م) فسميت باسمه، الحموي، شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، دار صادر(بيروت،1977م)، 347/4.

([5]) اران: إقليم مشهور لمدن عديدة اشهرها جنزة وشمكور وبرذعة والبيلقان يتاخم اذربيجان من الشرق والجنوب وارمينية من الغرب ويكون جبل القفجاق تخومه الشمالية، الحموي، معجم البلدان، 136/1.

([6]) جرزان: اسم جامع لناحية بارمينية قصبته مدينة تفليس وهم الكرج، الحموي، معجم البلدان، 125/2.

([7]) البلاذري، ابو الحسن، فتوح البلدان، منشورات مكتبة الهلال، ط1(بيروت، 1983م)، ص193؛ المنبجي، اغنابيوس بن قسطنطين، المنتخب من تاريخ المنبجي، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، دار المنصور (بيروت، 1986م)، ص33؛ المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين، التنبيه والاشراف، صححه: عبد الله اسماعيل الصاوي، دار الصاوي (القاهرة، 1983م)، ص134؛ ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم، الكامل في التاريخ ، دار صادر (بيروت، 1965م)، 475/1.

([8]) نقفور، البطريرك، التاريخ المختصر، ترجمة: هاني عبدالهادي البشير، دار النهضة العربية (القاهرة، 2007م)، ص66؛ المسعودي، الاشراف والتنبيه، ص 134.

([9]) تفليس : بلد في ارمينية الأولى وهي قصبة جرزان قرب باب الابواب، الحموي، معجم البلدان، 35/2.

([10]) المسعودي، الاشراف والتنبيه، ص134.

مطلبه، ثم اندفع بقواته إلى اقليم أران واستولى عليه وتقدم في غزوه إلى ان وصل إلى اقليم اذربيجان، فكتب إليه هرقل يطلب منه ان يوقف زحفه إلى ان يصله ليتقدما معاً[1]، وعلى اثر ذلك الضغط والقوة اجبر الملك الساساني كسرى أبرويز (590-628م)على عقد معاهدة مع هرقل تقضي بإعادة املاك الدولة البيزنطية كافة التي استولت عليها الدولة الساسانية من قبل[2] فاصبح الجزء الأعظم من اقليم ارمينية عائدا إلى املاك الدولة البيزنطية واران وجرزان الى دولة الخزر [3].

اولاً– الفتح الإسلامي لجنوب القفجاق

في الوقت الذي امتدت فيه سيطرة الخزر والبيزنطيين على معظم بلاد القفجاق، كان المسلمون قد تمكنوا من تكوين دولتهم في شبه الجزيرة العربية والتي وصلت بفتوحاتها، إلى ما جاور تخوم املاك الدولتين الساسانية والبيزنطية اللتين كانتا تحكمان معظم العالم انذاك.

واتخذت تلك الفتوحات طرقا واتجاهات عديدة في سيرها كان من بينها الاتجاه الشمالي والشمالي الشرقي، الذي اوكلت مهام تنفيذه إلى اهل العراق وإقليم الجزيرة الفراتية، وبمشاركات شامية مستمرة لها على تلك الجبهة(4).

استطاعت الدولة الإسلامية ان تحرر اراضي العراق التي كانت خاضعة للدولة الساسانية بعد دحرها للجحافل الفارسية في معركتي القادسية سنة (15هـ/636م) ونهاوند سنة (20هـ/641م) (5)، ثم تابع المسلمون زحفهم وراء الفلول الساسانية المندحرة إلى ان اصبحوا على مشارف تخوم اقليمي أرمينية واذربيجان اللذين كانا يشكلان ظهير اسناد لتلك الفلول في جمع اشتاتها المتناثرة واعادة الهجوم على القوات الإسلامية، ونتيجة لذلك الضغط من قبل المسلمين على الدولة الساسانية استغل الخزر والبيزنطيون الموقف فسيطروا على إقليم اران وجرزان وارمينية[6]، اما المسلمون فقد تمكنوا من فتح إقليم أذربيجان سنة (22هـ/643م)[7]، فجعلوا منه قاعدة لتنفيذ خطواتهم التالية في عمليات الفتح.

بعدها توجه المسلمون إلى فتح مدينة باب الأبواب(8) التي كانت خاضعة لنفوذ الخزر(9)، وتم فتحها سنة (22هـ/643م)(10)، وكان دافعهم اليها الموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به تلك المدينة فهي المدخل لاحدى الممرين الرئيسين لجبل القفجاق الذي يمكن من خلاله نفاذ الخزر والروس وغيرهم من الاقوام في شمال القفجاق وتهديدهم للفتوحات الإسلامية في أرمينية واران واذربيجان، فاراد المسلمون حماية المدن التي فتحوها من أي هجوم متوقع من قبل الخزر وغيرهم مستقبلا، فضلا عن جعلها قاعدة لانطلاق حملاتهم العسكرية تجاه اقليمي أران وارمينية، ولتكون ملجأً لقواتهم العسكرية حال انسحابها امام الأعداء ومنطلقاً لحملاتهم العسكرية مستقبلاً باتجاه الخزر في شمال القفجاق.

بعد فتح مدينة باب الابواب بثت السرايا في إقليم أرمينية وتمكنت من فتح مدنها الواحدة تلو الاخرى، حتى اكتمل الفتح بصورة نهائية سنة (31هـ/653م)، اما إقليم أران فقد سيرت اليه الحملات العسكرية سنة (29هـ/651م)، وتم فتحه سنة (31هـ/653م) (11).

وعندما افتتحت أرمينية كان فيها العديد من الملوك المحليين، ممن رتب ديار ملكهم الساسانيون في أثناء مدة سيطرتهم على أرمينية واران، فاستمروا في حكمهم لمناطق نفوذهم في صدر الإسلام(11-41هـ/632-660م) والعصر العباسي الأول(132-247هـ/749-861م) تحت اشراف الدولة الإسلامية، وكان يعتمد مدى بقائهم على الظروف السياسية التي تسود الأقاليم(12).

فضلا عن وجود البطارقة الارمنيي الأصل الذين رتب ملكهم البيزنطيون، والبطريق حاكم عام في منطقة نفوذه وينتمي إلى عائلة اقطاعية ذات نفوذ يعتمد عليه، وعلى عشيرته وما موجود لديه من مقاتلين ونظام الحكم فيهم وراثي، وكانوا يشكلون الواسطة بين امير

([1]) المنبجي، المنتخب، ص37- 39.
([2]) نقفور، التاريخ المختصر، ص70.
([3]) اليعقوبي، احمد بن إسحاق، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: خليل المنصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية (بيروت، 2002م)، 155/1.
([4]) البلاذري، فتوح البلدان، ص196-197.
([5]) ابن خياط، ابي عمرو خليفة، تاريخ خليفة بن خياط، مراجعة: مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، ط1(بيروت، 1995م)، ص72و83.
[6] () البلاذري، فتوح البلدان، ص196؛ اليعقوبي، تاريخ، 155/1.
([7]) ابن خياط، تاريخ خليفة، ص86.
([8]) باب الأبواب: مدينة كبيرة على ساحل بحر الخزر وجبل القفجاق وتسمى ايضاً الدربند(داغستان) من بناء الملك الساساني انوشروان، وتعد من مناطق الثغور، الحموي، معجم البلدان، 303/1.
([9]) كريستنسن، ارثر، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، مراجعة: عبد الوهاب عزام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة، 1957م)، ص431؛ الحديثي، قحطان عبد الستار وصلاح عبد الهادي الحيدري، دراسات في التاريخ الساساني والبيزنطي، جامعة البصرة (البصرة، 1986م)، ص116.
([10]) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4 (القاهرة، 1979م)، 155/4؛ ابن الاثير، الكامل، 28/3.
([11]) ابن خياط، تاريخ خليفة، ص94؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 117/2.
([12]) ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد الله، المسالك والممالك، مطبعة ابريل (ليدن ، 1927م)، ص124؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص196-207؛ اليعقوبي، تاريخ، 117/2؛ ابن حوقل، ابو القاسم، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة (بيروت، 1979م)، ص354؛ ابن الفقيه، ابو بكر احمد بن إبراهيم الهمداني مختصر كتاب البلدان ، مطبعة ابريل (ليدن، 1885م)، ص293.

المسلمين والسكان الارمن في مناطق نفوذهم حتى ان خروجهم من سلطة الامير المسلم معناه تمرد منطقته على السلطة الاسلامية[1]، ومن أشهر العوائل الاقطاعية في اقليمي أرمينية واران البغراتية والاردرزرونية.

ثانياً– سياسة الدولة البيزنطية تجاه الفتح الإسلامي لجنوب القفجاق

ان وصول المسلمين إلى إقليم الجزيرة الفراتية وثغورها وجنوب القفجاق المتاخمة لأملاك الدولة البيزنطية قد اثار حفيظتها فالجزيرة منطقة استراتيجية مهمة بالنسبة للخطوط الدفاعية، فالذي يسيطر عليها يستطيع التجوال بحرية مابين جنوب القفجاق والجزيرة وبلاد الشام التي تحاصر الدولة البيزنطية من الشرق والجنوب والغرب وفي الوقت نفسه تهدد حدود الدولة الإسلامية من الشمال[2]، فأصبحت بيزنطة والمسلمون وجها لوجه، على هذا الأساس اتخذت الدولة البيزنطية العديد من الإجراءات والسياسات المختلفة ضد الوجود الإسلامي الذي امتد الى جنوب بلاد القفجاق وشماله لاحقاً ومن أهمها:

1- التحصينات الدفاعية

لم تكن الدولة البيزنطية بالهينة على الرغم من ضعفها امام المسلمين في بلاد الشام، فهي دولة امتد حكمها قروناً طويلة اكتسبت في اثنائها خبرات عالية جدا ساعدتها على الصمود ومعالجة أي خطر يداهمها، وهو ما سيتضح من خلال الكلام عن طبيعة السياسة التي اتبعتها مع الوجود الإسلامي في جنوب القفجاق.

عندما لاحظ البيزنطيون قوة المسلمين وسرعة اندفاعهم وقضائهم على الدولة الساسانية ووصول جيوشهم الى بلاد الشام وإقليم الجزيرة الفراتية وبلاد جنوب القفجاق اتخذوا بالمقابل إجراءات امنية للحفاظ على حدودهم الاصلية في بلاد الاناضول(آسيا الصغرى) من خلال إعادة التنظيمات العسكرية بإقامة نظام الثيمات(الثغور)[3]، على المناطق المتاخمة لإقليم الجزيرة الفراتية وجنوب القفجاق بدأً من عهد الامبراطور هرقل على اثر دخول المسلمين وفتحهم لجنوب القفجاق المتمثل بأذربيجان وارمينية وجرزان[4] إذ عمل الامبراطور هرقل على محاربة الاديرة التي بدأ الجند يتوجهون إليها هرباً من الخدمة العسكرية بسبب كسر معنوياتهم نتيجة الخسائر المتكررة في حروبهم مع المسلمين، مما أدى الى معاداة البابا جريجوري للامبراطور هرقل وتفادياً لذلك الخلاف قام هرقل بتمليك الأراضي للجند مقابل الخدمة العسكرية فتولدت قوة عسكرية دفاعية على مناطق تخوم الدولة البيزنطية مع جنوب القفجاق والجزيرة[5] فاراد البيزنطيون بذلك الاجراء جعل ارمينية حاجزاً او فاصلاً مع المسلمين.

ولاسيما في ثيم الأرميناق والاناضول[6] التي أسسها واهتم بها الامبراطور هرقل ومن جاء بعده من الاباطرة والتي كان هدف انشائها الدفاع عن التخوم الشرقية والشمالية الشرقية لبيزنطة[7] واكتمل الاهتمام بها في عهد الامبراطور ليو السادس(257-273هـ/870-886م) الذي ادخل عليها تعديلات عسكرية وإدارية جعلتها اقوى مما كانت عليه في عهد الامبراطور هرقل وساعدت على توسع مناطق نفوذ الدولة البيزنطية باتجاه أملاك المسلمين والارمن[8].

كما قاموا بتوسيع الممرات الجبلية والاودية التي تودي الى مناطق نفوذ المسلمين في جنوب القفجاق لتسهيل دخول جيوشهم لمهاجمة ومباغتة المسلمين هناك ولاسيما في إقليم قليقيا(قاليقلا)[9] في جنوب غرب ارمينية وممر باب اللان[10] في جبل القفجاق الرابط مابين اللان والكرج في الجهة الشمالية من جرزان وقد استخدم ذلك الممر كثيراً من قبل بيزنطة وحلفائها[11].

Grousset ([1])، rene, History DL Armenia, (Paris, 1973), P. 348.

([2]) السيد، اديب، ارمينية في التاريخ العربي، المطبعة الحديثة، ط1(حلب، 1972م)، ص53؛ المدور، مروان، الارمن عبر التاريخ، (بيروت، 1982م)، ص196.

([3]) ثيم: هو نظام اعتمدته الدولة البيزنطية في حماية حدودها المتاخمة للمسلمين في الجنوب والشرق ومن القبائل البربرية في الشمال ومن الممالك الغربية وخاصة البلغار من الجهة الغربية وهي عبارة عن تحصينات أقيمت على الحدود والممرات الجبلية وتطبيق تلك التحصينات على كل مدينة هامة وجعل الحكم فيه مدنياً وعسكرياً بيد رجل واحد اطلق عليه لقب استراتيجوس، عثمان، فتحي، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية للطباعة والنشر(القاهرة، د.ت)، 81/1.

([4]) أبو الجدايل، عائشة سعيد شحاته، الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي (الأول الهجري) دراسة في التطورات والتغييرات، دار المفردات للنشر والتوزيع والدراسات، ط1، (الرياض، 1995م)، ص175.

([5]) عثمان، الحدود، 95/1؛ أبو الجدايل، الإمبراطورية البيزنطية، ص175.

([6]) ثيم الأرميناق والأناضول: وهما اقليمان يحميان التخوم الشرقية للدولة البيزنطية من المسلمين في جنوب القفجاق، محمد، طارق منصور، قطوف الفكر البيزنطي، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط1(القاهرة، 2002م)، ص123.

([7]) دياب، صابر محمود، المسلمون وجهادهم ضد الروم في ارمينية والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجري، مكتبة السلام العالمية(القاهرة، 1984م)، ص12-14؛ إسماعيل، ليلى عبدالجواد، الدولة البيزنطية في عصر الامبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين، دار النهضة العربية (بيروت، 1985م)، ص118.

([8]) فرج، وسام عبدالعزيز، دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية، (د،م، د،ت)، ص261-262.

([9]) قاليقلا: مدينة في ارمينية من نواحي خلاط وملاذكرد، الحموي، معجم البلدان، 299/4.

([10]) باب اللان: قلعة محصنة تشرف على الطريق الرابط المار عبر جبل القفجاق مابين شمال القفجاق وجنوبه، بنيت على ايدي ملوك الفرس لمنع قبيلة اللان الى جنوب القفجاق، الحموي، معجم البلدان، 246/1.

([11]) منجم باشي، احمد بن عيسى بن لطف الله (ت 1113هـ/1702م)، جامع الدول، تحقيق: محمد حرب، دار روائع الكتب، ط1 (دمشق، 2023م)، 200/6-201.

بعد ان لاحظت بيزنطة قوة المسلمين واقتراب خطرهم من حدودها مع جنوب القفجاق اصبح وضعها دفاعياً اكثر مما هو هجومياً، إذ تركت جنوب القفجاق يلاقي مصيره واعتمدت على تقديم مساعدات تكاد لا تذكر لأهله بسبب ضعفها امام المسلمين في جبهتي بلاد الشام وبلاد الجزيرة الفراتية، واكتفت بالاعتراف بالأمراء الأرمن على مناطق حكمهم وزودتهم ببعض القوى القليلة في اثناء تمردهم على الدولة الإسلامية في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة[1].

2- الجانب الديني والاجتماعي

التجأت الدولة البيزنطية الى مسالة التبشير بالديانة المسيحية بين شعوب القفجاق شماله وجنوبه على اساس ان انتشار المسيحية هو امتداد لسلطانها، فشرعت ترسل الحملات التبشيرية[2]، منذ وقت مبكر أي قبل دخول المسلمين إلى جنوب القفجاق وشماله إذ استهدفت تلك الحملات التبشيرية الأرمن والكرج في الجنوب، والخزر والروس والصقالبة في الشمال وبشكل متواتر، لاسيما في شمال القفجاق وقد نجحت الدولة البيزنطية بشكل كبير في كسب تلك الشعوب الى المسيحية[3]، والاستفادة منها في الوقت نفسه سياسياً وعسكرياً في الوقوف بوجه الامتداد الإسلامي إلى القفجاق.

إذ حاول الامبراطور هرقل ومن جاء بعده توحيد المذهب الديني من خلال ربط جنوب القفجاق بكنيسة الإمبراطورية البيزنطية بعد الشقاق الذي حصل بينهم على اثر مجمع خلقدونية الذي عقد سنة (451م)، ورفض من قبل المسيحيين في جنوب القفجاق وقدموا الولاء للنفوذ الساساني ومن بعده للدولة الإسلامية، ولم تلقَ تلك المحاولات قبولاً او نجاحاً فقد رفضت بشكل دائم من قبل مسيحيي جنوب القفجاق الذين آثروا البقاء على مذهبهم ليتخلصوا من نفوذ البيزنطيين واضطهادهم[4].

ولايفوتنا ان نذكر انتهاج الدولة البيزنطية لسياسة المصاهرة والزواج مع امراء وملوك القفجاق شمالاً وجنوباً، والتي استخدمت عبر التاريخ بين الاسر الحاكمة على الاغلب لغرضين الأول سلمي لتجنب النزاعات، والثاني عسكري لتعزيز التحالف العسكري وتوحيد الجهود ضد الاعداء، وقد نجحت الدولة البيزنطية في هذا المجال وامثلة ذلك كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، تحالف الامبراطور البيزنطي هرقل مع خاقان الخزر بتزويجه ابنته لتوحيد جهودهما في طرد الساسانيين من جنوب القفجاق كما مر ذكره.

وزواج الامبراطور قسطنطين الخامس (124-159هـ/ 741-775م) من ابنة خاقان الخزر[5]، وتزويج ابنة الامبراطور باسيل الثاني (366-416هـ/ 976-1025م) من الامير الروسي فلاديمير (368-406هـ/978-1015م) التي كان الغرض منها القضاء على تمرد ضد الامبراطور[6] وتزويج الامبراطور ميخائيل الثامن (656-681هـ/1258-1282م) ابنته غير الشرعية لاحد قادة قوات الملك بركة خان في شمال القفجاق لتوثيق العلاقات السلمية بين الطرفين[7]، اما على مستوى جنوب القفجاق فقد زوج الامبراطور رومانوس الثالث (419-426هـ/1028-1034م) ابنة اخيه لبقراط ملك الكرج[8]، وتزويج الامبراطور ميخائيل الثامن ابنته غير الشرعية من هولاكو لكسبه الى جانبه امام سلاجقة الروم[9]، وغيرها من المصاهرات التي جرت بين الدولة البيزنطية وما جاورها من دول وممالك الهدف منها ابعاد خطر المسلمين عن أراضيها.

3- دعم الثورات والتمردات في جنوب القفجاق

كان لقيام الدولة الإسلامية، وامتداد نفوذها بشكل واسع، ليصل إلى أرمينية وأذربيجان في القرن (الأول الهجري / السابع الميلادي)، الاثر الواضح في اضعاف الدولة البيزنطية، من خلال انهاك قواها في المعارك التي انتصر فيها المسلمون، وتمكنوا من حصر حكم الدولة البيزنطية فيها، وقد استمر حكم الدولة الإسلامية المباشر على تلك البلاد حتى نهاية القرن (الثالث الهجري / التاسع الميلادي**).**

([1]) غيفونيان، ارام تير، دراسات استشراقية حول العلاقات الأرمنية العربية، ترجمة: الكسندر كشيشان، دار النهج، ط1(حلب، 2007م)، ص145.
([2]) عثمان، الحدود الإسلامية، 85/1.
([3]) آيه زاو، محمد جمال صادق، موسوعة تاريخ القفقاس والجركس، منشورات دار علاء الدين (دمشق، 1996م)، 332/1.
(3) المدور، الارمن عبر التاريخ، ص284-285؛ إسماعيل، الدولة البيزنطية، ص158-160.
([5]) نقفور، التاريخ المختصر، ص97.
([6]) الانطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى، تاريخ الانطاكي، تحقبق: عمر عبدالسلام تدمري، جروس برس (لبنان، 1990م)، ص209-210؛ المروزي، شرف الزمان طاهر، ابواب في الصين والترك والهند من كتاب طبائع الحيوان، (لندن، 1942م)، ص23؛ ابن الأثير، الكامل، 410/7؛ الرمزي، م، م، تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، قدمه وعلق عليه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1(بيروت، 2002م)، 172/1.
([7]) عبيد، اسحق، الإمبراطورية البيزنطية في عصر باليولوجوس (1261-1282م)، منشورات جامعة بنغازي(ليبيا، د،ت)، ص62.
([8]) ابن بطريق، سعيد (ت 329هـ/940م)، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الإباء اليسوعيين (حلب، 1905م)، 252/2؛ الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ص409.
([9]) عمران، محمود سعيد، المغول والاوربيون والصليبيون، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 2003م)، ص71؛ عبيد، الإمبراطورية البيزنطية، ص62.

لم تسلم الأقاليم الثلاثة أرمينية، وأران، وأذربيجان في جنوب القفجاق، كبقية الأقاليم التابعة للدولة الإسلامية في المشرق والمغرب، من حركات التمرد والانفصال من اجل النفوذ والسلطة والانفصال بالحكم عن الحكومة المركزية، بعد ان كانت تابعة ادارياً وبشكل مستمر للدولة الإسلامية ودفع الجزية والخراج لها طوال عصر صدر الإسلام والعصر العباسي الأول[1].

ومن أهم الامور التي شجعت نهج الانفصال في تلك الأقاليم وعورة المنطقة، وكثرة العناصر السكانية فيها، كالفرس، والعناصر الكردية والارمنية الضعيفة الولاء للدولة، كما سكنت المنطقة عناصر عربية مختلفة لاسيما من بني ربيعة، وتغلب وشيبان، فضلا عن السلطتين القائمتين في أرمينية واران والتي تمثلت بسلطة الوالي العباسي وسلطة الامراء البطارقة المحليين[2]، وجدت بيزنطة ضالتها في الثورات التي حدثت في ارمينية وأذربيجان في القرون الثلاث الهجرية الأولى، التي تمرد بها امراء الأرمن والكرج على الدولة في عصر الخلفاء الراشدين او عصر الدولة الاموية او الخلافة العباسية.

على سبيل المثال لا الحصر اتصال الدولة البيزنطية بثيودور رشتوني واعترافها به كأمير على ارمينية وقائداً للجيش، وارسلت له قوات عسكرية لتأمين تخوم ارمينية من امتداد المسلمين باتجاه الاناضول، كما تحالف البيزنطيون مع اللان والخزر والكرج وهاجموا مدينة قاليقلا، وساندوا سمباط الباقرادوني عندما تمرد على الدولة الإسلامية في العصر الاموي، وثار الارمن كذلك في عصر الخلافة العباسية كتمرد سهل بن سمباط في تفليس[3].

فضلاً عن الثورات الدينية التي قام بها الخوارج وثورة بابك الخرمي التي زعزعت امن جنوب القفجاق لاكثر من عقدين من الزمان، من خلال دعم الدولة البيزنطية لتلك الثورات بالمقاتلين او بالهجوم على الدولة الإسلامية من ناحية ثغور الجزيرة لتقلل العبء على الثوار في جنوب القفجاق، وهذا ما نلاحظه من خلال مراسلة بابك الخرمي للامبراطور البيزنطي ثيوفيل(214-228هـ/829-842م) يخبره باستغلال الفرصة لانشغال الجيوش العباسية في حربه، وفعلاً جهز ثيوفيل قوات كبيرة وهاجم الجزيرة من ناحية زبطرة[4] وتمكن من خلال حملته تلك من حرق المدينة واسر النساء والأطفال وقتل الرجال وعاد الى بلاده منتصراً[5]، ونتج عن تلك السياسة انها استفادت من ذلك الدعم في تامين تخومها الشرقية مع جنوب القفجاق بإشغال الدولة الإسلامية في القضاء على الثورات والتمردات الحاصلة في مناطق نفوذها جنوب القفجاق، وبالتالي فهو انهاك واضعاف للدولة الإسلامية واستنزاف لمواردها في الانفاق على الجيوش لقمع التمردات.

ثالثاً- سياسة بيزنطة تجاه جنوب القفجاق في القرنين (الرابع والخامس الهجريين)

شهدت بلاد القفجاق تحديات وضغوطا شديدة، ولاسيما في القرنين (الرابع والخامس الهجريين / العاشر والحادي عشر الميلاديين)، تهدف إلى تحجيم أو وقف الوجود الإسلامي في جنوب القفجاق، وتمثلت تلك التحديات والضغوط في المشاكل السياسية والعسكرية والقوى البشرية الهائلة التي لا يمكن التصدي لها لمدة طويلة، والقادمة من جهة الغرب متمثلة بالبيزنطيين الارمن والكرج ومن الشمال قبيلة اللان والروس والخزر وغيرهم من الاقوام.

لاسيما ان العصر العباسي الثاني قد جاء فيه إلى سدة الحكم خلفاء ضعاف، وهيمنت العناصر التركية على مؤسسة الخلافة، وقد أسهم ذلك الامر في اضعاف الحكم الاسلامي في تلك المناطق[6]، وقيام ثورات فيه ادت إلى حدوث نزاعات عديدة بين المتغلبين والامراء المسلمين، وتعدت احيانا إلى ان تكون الصراعات بين الامراء المحليين الارمن، مما أدى إلى قيام إمارات من غير المسلمين في جنوب القفجاق، تمتعت بشبه انفصال مع اعترافها الرسمي بتبعيتها للخلافة العباسية، والدولة البيزنطية [7].

وبسبب ذلك الاعتراف وضعف المسلمين تغيرت سياسة بيزنطة في تلك المدة عما سبق، إذ تحولت من محاولة التقارب الديني وتقديم الامدادات ودعم حركات التمرد إلى حملات غزت مناطق النفوذ الإسلامي، وهي حملات مشتركة من البيزنطيين والارمن والكرج، ومن خلال استقراء الروايات التاريخية، نلاحظ محاولة الدولة البيزنطية الدائبة إلى ضرب الوجود الإسلامي في جنوب القفجاق بشتى الوسائل، لضمان استقرارها، وزعزعة حكم المسلمين فيه، من خلال تأليب وتشجيع شعوبه ضد المسلمين فقد كان جنوب القفجاق مثار تعب دائم للمسلمين لعدم استقراره.

([1]) مصطفى، شاكر، دولة بني العباس، وكالة المطبوعات للنشر، ط1 (الكويت، 1973م)، 489/2.
([2]) مصطفى ، دولة بني العباس ، 488/2-489.
([3]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 198-209.
([4]) زبطرة: مدينة بين ملطية وسميساط على تخوم بلاد الروم، الحموي، معجم البلدان، 130/3-131.
([5])عن ثورة بابك الخرمي والكرج والارمن وتأثيرها على وضع الحكم انظر، الطبري، تاريخ الرسل، 139/5؛ ابن الاثير، الكامل، 435/5؛ منجم باشي، جامع الدول، 41/11-44.
([6]) اليعقوبي، تاريخ، 347/2.
([7]) Vazilive, A.A., History of Byzantine Empire, Print periou (Athens, 1985), 1/379 .

إن قيام الأنظمة السياسية المحلية المنفصلة عن نفوذ الحكام المسلمين التابعين للخليفة العباسي ببغداد، في جنوب بحر الخزر(قزوين)، قد ادى إلى امرين الأول سحب الخلافة العباسية لامرائها ونقلهم إلى العراق، وتعيين الساجية[1] على حكم البلاد وبالتالي فتحت الخلافة طريقاً لوصول الاسر الإسلامية

إلى سدة الحكم وبشكل وراثي في تلك البلدان[2]، والثاني شجعت الامراء المحليين الارمن على التمرد ضد الولاة العرب من اجل ابعادهم عن حكم تلك الأقاليم.

والشاهد على ذلك تمرد البطريق بقراط بن اشوط مطالبا بالامارة على إقليم خلاط[3]، ولبى طلبه بقية بطارقة أرمينية، وقتلوا الامير العربي المسلم يوسف بن محمد المروزي[4]، فدخلوا في نزاع طويل مع الخلافة العباسية انتهى باعتراف الخلافة ببقراط بن اشوط كبطريق للبطارقة سنة (247هـ/861م) مقابل وقوفه إلى جانب جيوش الخلافة العباسية ضد حركات العصيان، ولم يقف الخليفة عند هذا اللقب وانما منحه لقب امير الامراء، ونادى به ملكا سنة (272هـ/885م) [5].

إن تفوق قادة الثغور الإسلامية في حروبهم ضد الدولة البيزنطية، دفعها إلى ان تفكر مليا بمسألة ايجاد انصار وحلفاء لها ضد المسلمين في الربع الثالث من القرن (الثالث الهجري / التاسع الميلادي)، فكان جنوب القفقاج هو وجهة الامبراطور البيزنطي ليو السادس(257-300هـ/870-912م)، للاسباب المذكورة إذ اعترف باشوط البغراتي ملكا على أرمينية، على اثر اعتراف الخلافة العباسية به ملكا سنة (272هـ/885م)، وعقد معه المعاهدات ليضمن تعاونه مستقبلا، فضلا عن عقد المعاهدات مع امير الكرج اشوط الأول، بل ذهب البيزنطيون إلى ابعد من ذلك الحد بان حاولوا توسيع شقة الخلاف بين الأمير محمد بن ابي الساج والخلافة العباسية، من خلال ارسال الهدايا لاستمالته[6]، ولكن لم تفلح الدولة البيزنطية في استمالته إلى جانبها.

وتلك اول الإشارات على ضعف الخلافة العباسية في جنوب القفجاق وقد نتج عنها انفصال بعض الامراء المسلمين عن الخلافة العباسية في بداية القرن (الرابع الهجري /العاشر الميلادي)، وأصبحت لديهم طموحات في مد نفوذهم إلى ما كان بيد الامراء الأرمن من مناطق نفوذ اوكلتها اليهم الخلافة العباسية واعترفت بحكمهم عليها، ومن اهم تلك الامارات الامارة الساجية إذ اعلن يوسف بن ابي الساج حربه على الامراء الأرمن واستحوذ على كثير من مناطق نفوذهم دون اذن من دار الخلافة، مما أشعر الأرمن والكرج بالاضطهاد فغيروا ولاءهم باتجاه الدولة البيزنطية[7].

وقد استغلت الدولة البيزنطية ذلك الامر فقامت بامداد الامراء الأرمن بالقطعات العسكرية لنصرتهم على المسلمين هناك، محاولة في ذلك كسبهم لجانبها، وقام بعض الاباطرة البيزنطيين بشن حملات عسكرية مباشرة إلى بلاد الكرج وارمينية واشهرهم في ذلك المجال الامبراطور ليو السادس والقائد رومانوس ليكابينوس، واحرزوا العديد من الانتصارات على الدولة الإسلامية هناك[8]، وكسبوا الأرمن والكرج الى جانبهم وجعلوا منهم خطراً يهدد ثغور المسلمين في الجزيرة الفراتية[9] ومنحتهم الدولة البيزنطية الألقاب والهدايا والأراضي لاثارة الرغبة لديهم للخضوع[10].

استطاعت الاسرة البقراطية الارمنية نتيجة للظروف المذكورة، ان تنفصل بحكم مناطق جنوب القفجاق أرمينية والكرج، ثم ما لبثت تلك الاسرة ان انقسمت إلى فرعين، حكم الفرع الأول أرمينية، وحكم الفرع الثاني بلاد الكرج، وقد ساعد تجاورها مع الدولة البيزنطية والبعد عن مركز الخلافة، فضلا عن العامل الديني في كون الاطراف الثلاثة معتنقة للمسيحية على اختلاف مذاهبهم[11]، ان ترتبط مع بعضها البعض في مواقفها وقراراتها في اغلب الاحيان ضد الدولة الإسلامية.

وفي سنة (303هـ/915م) حاول الأمير يوسف بن ابي الساج، تهديد كل من أرمينية وجورجيا بغزوه لهم في عقر دارهم وتمكن من طرد الأمير سمباط، فاضطر الأمير اشوط بن سمباط الأول إلى ان يطلب المساعدة من الامبراطور البيزنطي قسطنطين السابع (301-348هـ/913-959م)، وقد حقق الاخير انتصاراً كبيراً على يوسف بن ابي الساج، وتمكن من اعادة الأمير سمباط إلى عرشه سنة

([1]) الساجية: إمارة تركية نشأت في أذربيجان وامتد حكمها إلى قسم من اراضي أران وارمينية، وقد سميت بالساجية نسبة إلى كبير العائلة ابو الساج وحكموا بلاد أذربيجان تحت السيادة الاسمية للخلفاء العباسيين، كان حكمهم في نهاية القرن الثالث الهجري – التاسع الميلادي وانتهى في بداية القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي، ايوار: دائرة المعارف الإسلامية، مادة بنو الساج، 37/11.

([2]) احمد، جمال رشيد، لقاء الكرد واللان في بلاد الباب وشروان، دار اراس، ط2 (اربيل ، 2001م)، ص54.

([3]) خلاط: هي قصبة ارمينية الوسطى بلدة عامرة ومشهورة ذات خيرات كثيرة، الحموي، معجم البلدان، 2/380-381.

([4]) ابن العبري، غريغوريوس الملطي، تاريخ مختصر الدول، وقف على طبعه ووضع حواشيه، الاب انطون صحافي اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية (بيروت، 1958م)، ص144.

([5]) المدور، الأرمن عبر التاريخ، ص215.

([6]) Brehier L, The Life and Death of Byzantium, North Holland, Publishing, (New York, 1977), 5/91؛ صبرة، عفاف سيد، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، دار الكتاب الجامعي (القاهرة، د، ت)، ص429-430 .

([7]) بروفيروجنتيوس، قسطنطين، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، عرض وتحليل وتعليق: محمود سعيد عمران، دار النهضة العربية (بيروت،1980م)، ص162.

([8]) بروفيروجنتيوس، إدارة الامبراطورية البيزنطية ، ص167-168.

([9]) ابن مسكويه، ابو علي احمد بن محمد، تجارب الامم وتعاقب الهمم، (مصر، 1915م)، 65/2؛ ابن الاثير، الكامل، 264/5.

([10]) بروفيروجنتيوس، إدارة الامبراطورية البيزنطية، ص156.

([11]) رنسيمان، ستيفن، الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر (القاهرة، 1961م)، ص355.

(302هـ/914م) فاعلن الأرمن بعد ذلك خضوعهم للدولة البيزنطية ودفعوا الجزية لها عن طيب خاطر، ثم استولى الأرمن بعد ذلك على مدينة خلاط وملاذكرد[1] وضواحي مدينة أرزن[2] واضافوها إلى ممتلكات الدولة البيزنطية، وبذلك فقد اصبح هناك خط دفاعي متقدم لها يعرقل تقدم القوات الإسلامية باتجاه الأراضي البيزنطية [3]، وبذلك تدعمت السياسة البيزنطية مع هاتين الامارتين، وضمنت سيرهم وفق ما ترتأيه الدولة البيزنطية من سياسة في تلك المنطقة.

غير ان التهديدات الساجية لم تلبث ان تجددت في سنة (315هـ/927م)، عندما هاجم سبك غلام الأمير يوسف بن ابي الساج بلاد الكرج وارمينية في اثناء حكم الأمير اشوط الثاني، واستطاع ان يستولي على مدينة دوين(4)، فتدخل الامبراطور البيزنطي رومانوس ليكانيتوس(307-333هـ/919-944م)، للمساعدة وذلك بمهاجمة الساجية في أذربيجان، الا انه فشل، ثم عاود الكرة باتجاه جنوب أرمينية في المناطق الإسلامية المحيطة ببحيرة وان(5)، والمتاخمة لاقليم الجزيرة الفراتية، إذ هجم على مدينة خلاط، ودمر مسجدها وقتل العديد من المسلمين بحملته تلك سنة (317هـ/929م)، وتوجه منها إلى سميساط(6)، وحاصرها مع القوات الارمنية، فبلغ ذلك مفلح قائد الجيش الساجي، فسار اليهم وتمكن من سحق الجيش البيزنطي وطرده تماما من المدن التي دخلها سنة (319هـ/913م)، كما تمكن من ايقاع الهزيمة بالارمن والكرج، واثخنهم قتلا وتجريحا وباعداد كبيرة [7]، كانت تلك الهزيمة بمثابة نكسة قوية للدولة البيزنطية وحلفائها الارمن والكرج لعدم سماح الإمارة الساجية لهم في ان ينساحوا في بلاد القفجاق التابعة للدولة الإسلامية.

توجهت الدولة البيزنطية في منتصف القرن (الرابع الهجري) إلى تغيير سياستها من دعم الأرمن والكرج وحركات التمرد إلى مهادنة الامارة الشدادية[8] الاسلامية سنة (342هـ/953م) بالاتفاق على معاهدة كان أهم بنودها، ان تكون العلاقة بين الطرفين قائمة على اساس حسن الجوار، وفيما لو حصل أي نزاع بين الشدادية والكرج أو الارمن أو أي طرف آخر معادٍ للإمارة، يلتزم البيزنطيون جانب الحياد[9]، ومن الاسباب التي دعت بيزنطة لعقد مثل تلك الاتفاقية هو توجه انظارها للسيطرة على مناطق نفوذ الإمارات المسيحية للارمن والكرج[10]، فقد استحوذ الامبراطور باسيل الثاني (352-366هـ/963-976م) في مدة حكمه الثانية على أملاك الاسرة البغراتية الأرمنية سنة(358هـ/969م) ومنحهم إقطاعات على تخوم ارمينية مع الاناضول[11]، كما توجه الامبراطور باسيل الثاني سنة (359هـ/970م) إلى مدينة ملاذكرد وتمكن من السيطرة عليها بعد ان سيطر عليها الساجيون من قبل[12].

بدأ التصعيد العسكري البيزنطي على مناطق جنوب القفجاق في نهاية الربع الأول من القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، فقد استهدفت اولى حملات الامبراطور باسيل الثاني (366-416هـ/976-1025م) إقليم البسفرجان[13] سنة (412هـ/1021م) واخذها من الأرمن الاردرزرونية ومنحهم مقابلها اقطاعاً في سيواس، واستحوذ على الممالك التابعة لملوك الارمن في عهد الأمير سمباد الثالث والكرج في عهد الأمير داود سنة (413هـ/1022م)، وتعويضها باراضٍ داخل تخوم الدولة البيزنطية في بلاد الاناضول، عقوبةً لمساندة الطرفين ثورة برداس فوقاس ضد الامبراطور باسيل الثاني، وخوفاً من انتقامه قاموا بالتنازل عن ممتلكاتهم للامبراطور باسيل الثاني بعد وفاتهم والذي اخذها وضمها الى ممتلكات الدولة البيزنطية بعد ان فتح الطريق له اهل البلاد باعتراضهم على تسليمها مما دعى باسيل الثاني الى الدخول بجيشه الى تلك المناطق[14] ويتضح هنا مدى بعد نظر الامبراطور باسيل الثاني الذي أراد ان يجعل من الأرمن والكرج حداً فاصلاً بين البيزنطيين والمسلمين في جنوب القفجاق.

كما هاجم الامبراطور رومانوس الثالث (419-426هـ/1028-1034م) مدينة بركرى سنة(425هـ/1033م)، والواقعة شمال شرق مدينة وان المتاخمة لبلاد الارمن، استغل فيها البيزنطيون التنافر أو الخلاف الذي جرى بين المسلمين على السلطة، فتمكن البيزنطيون من احكام قبضتهم على المدينة[15]، وفي سنة (437هـ/1045م) اتبع الامبراطور قسطنطين التاسع (434-447هـ/1042-

---

([1]) ملاذكرد: بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم يعد على ارمينية وأهله ارمن وروم، الحموي، معجم البلدان، 202/5.
([2]) ارزن: مدينة مشهورة قرب خلاط ولها قلعة حصينة، وهي من اعمر نواحي ارمينية، الحموي، معجم البلدان، 150/1.
([3]) بروفيروجنتيوس، إدارة الإمبراطورية البيزنطية ، ص162-165.
([4]) دوين ، بلدة من نواحي أران في آخر حدود أذربيجان بالقرب من تفليس، الحموي، معجم البلدان، 491/2.
([5]) بحيرة وان: تقع مابين خلاط ونواحي تفليس من عمل قاليقلا، الحموي، معجم البلدان، 355/5.
([6]) سميساط: مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم اكثر سكانها الأرمن، الحموي، معجم البلدان، 258/3.
([7]) ابن الاثير، الكامل، 217/6؛ ابن كثير، ابو الفدا، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، ط2(بيروت، 1977م)، 166/11-167؛ ابن خلدون، عبد الرحمن الحضرمي، تاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر (بيروت، 1979م)، 386/3.
([8]) الشدادية: هي إمارة كردية ظهرت على مسرح الأحداث السياسية سنة (340هـ/951م) في إقليم أران على اثر النزاع الذي دار بين الديلم الذي أدى إلى ضعضعة الوضع في أذربيجان فاستغل الأكراد ذلك، واعلنوا انفصالهم كامارة بقيادة الامير محمد بن شداد بن قرطق (340-344هـ/951-955م) الذي يعد هو المؤسس للإمارة الشدادية، متخذا من مدينة دبيل عاصمة له، احمد، لقاء الكرد واللان، ص211.
([9]) Minorsky, V, Studies in Caucasian History, Talor's foreign Press (Oxfor, 1968), P.53.
([10]) احمد ، لقاء الكرد واللان ، ص234-235 .
[11]() غيفونيان، دراسات استشراقية، ص287.
([12]) الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ص136.
([13]) البسفرجان: كورة بارض اران ومدينتها النشوى وهي نقجوان، وهي من بناء الملك الساساني انو شروان، الحموي، معجم البلدان، 334/2.
([14]) ابن بطريق، التاريخ المجموع، 250/2؛ الانطاكي، تاريخ الانطاكي، ص380-382.
([15]) ابن الاثير، الكامل، 7/8.

1055م) سياسة الامبراطور باسيل الثاني نفسها فقد احتل مدينة اني واضافها الى املاكه واقطع صاحبها الملك الأرمني جاجيك الثاني عوضاً عنها ارضاً مجاورة لارمينية[1]، وهاجم مدينة دبيل[2] في سنة (441هـ/1049م)، فتمكن اهلها من الصمود بوجهه والحاق الهزيمة به، فعاد ادراجه إلى مقر حامياته في أرمينية وبلاد الكرج[3]، وبنهاية عهده انتهت التوسعات البيزنطية تجاه جنوب القفجاق.

لظهور السلاجقة على مسرح التاريخ السياسي وفرض سيطرتهم على إقليم أران وتنظيم حملاتهم بعدها ضد البيزنطيين والارمن فتوجهوا سنة (456هـ/1063م) إلى مدينة اني عاصمة المملكة الارمنية وتمكنوا من احتلالها، ثم توغلوا في الأراضي البيزنطية محققين انتصارات عديدة سيطروا فيها على بعض من اجزاء الأراضي البيزنطية في أرمينية، ثم عادوا إلى أران[4].

جدد البيزنطيون حملاتهم سنة (460هـ/1068م) على جنوب القفجاق متوجهين إلى مدينة برذعة، الا ان محاولتهم تلك باءت بالفشل الذريع، إذ تمكن السلاجقة بقيادة الب ارسلان، من طرد القوات البيزنطية خارج البلاد [5]، استمرت الصراعات العسكرية بين السلاجقة والبيزنطيين إلى ان تمكن الب ارسلان السلجوقي في حملته على ملاذكرد سنة (463هـ/1070م) من تحقيق انتصار كبير على البيزنطيين سيطروا من خلاله على مواقع من بلادهم، وغنموا منهم اموالاً طائلة[6].

استطاعت الدولة البيزنطية طيلة مدة القرنين (الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين) من استعادة العديد من المدن الواقعة في جنوب القفجاق ولاسيما في ارمينية وبلاد الكرج الى حوزتها بعد ان كانت بيد المسلمين مثل ملطية وسيواس وسميساط والتي عدت على درجة عالية من الأهمية لوقوعها على تخوم ارمينية مع الجزيرة الفراتية فهي بموقعها تصد خطر المسلمين من ناحية الجزيرة الفراتية عن الدولة البيزنطية ومناطق نفوذها في جنوب القفجاق[7]، ان المدة تلك أي العقدين السادس والسابع من القرن (الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي)، هي مرحلة حرجة بالنسبة للبيزنطيين في جنوب القفجاق، وعامل مهم في ضعفهم، نتيجة الضغط الخارجي الذي تعرضت له من قبل السلاجقة فقد أسهم بشكل مباشر في التأثير في مستقبل المسلمين والدولة البيزنطية في جنوب القفجاق.

رابعاً- سياسة التحالف مع القوى المجاورة ضد المسلمين في القفجاق

التحالف مع الخزر

ذكرنا سابقاً التحالف الذي جرى بين الدولة البيزنطية والخزر المستقرين في المناطق الساحلية لمنطقة شمال القفجاق على بحر الخزر فيما بين نهر اتل (الفولغا) وجبل القفجاق، فقد شكلت دولة الخزر أهمية كبيرة للدولة البيزنطية من خلال ذلك الموقع الجغرافي الذي شغلته على الجانبين السياسي والاقتصادي، فمن الجانب السياسي تمكن الخزر من حماية الدولة البيزنطية من امتداد الإسلام إلى تخومها الشمالية الشرقية، فضلا عن تأثيرهم في سير الفتوحات الإسلامية تجاه بيزنطة سواء التي كانت تنطلق من جنوب القفجاق أو التي ارادت الالتفاف على الدولة البيزنطية من خلال اوربا الشرقية.

على ذلك الاساس، حسن البيزنطيون علاقاتهم بالخزر من خلال المصاهرات [8] والمعاهدات والتحالفات السياسية، وتجدد التحالف هذه المرة ليكون ضد الدولة الإسلامية في جنوب القفجاق، ولاسيما عندما قررت دار الخلافة التوجه لفتح مدينة باب الابواب التي كانت خاضعة لنفوذ الخزر بعد فتح أذربيجان[9]، فبادر الخزر بحملاتهم المتتالية وعلى مدا (162) سنة تتراوحت ما بين الكر والفر على أقاليم الدولة الإسلامية في جنوب القفجاق طيلة العصر الراشدي والاموي والعباسي الأول، آخرها كانت في سنة (183هـ/799م) في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد (170-193هـ/786-809م)[10]، وقد أسهمت بشكل كبير وفعال في زعزعة الحكم الإسلامي في جنوب القفجاق الامر الذي يؤدي بالمقابل الى تخفيف الضغط عن الدولة البيزنطية على جبهاتها الأخرى المواجهة للمسلمين في بلاد الشام والجزيرة الفراتية، وقد وصل الخزر من القوة ان الدولة الإسلامية، كانت تتحاشى الصدام معهم، والدليل على ذلك هو اغفال أو عدم ذكر المصادر العربية لأي نوع من العلاقات بين الطرفين منذ سنة (183هـ/799م) وحتى سنة (417هـ/1026م) أي اكثر من قرنين من الزمن وبقي الوضع في جنوب القفجاق قلقاً وغير آمن بسبب تلك الهجمات فكانوا مثار تعب بالنسبة للدولة الإسلامية.

([1]) غيفونيان، دراسات استشراقية، ص287.
([2]) دبيل: مدينة بأرمينية متاخمة لبلاد أران فتحها حبيب بن مسلمة الفهري في عهد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) صلحا كان اهلها مجوسا ونصارى ويهودا ، الحموي، معجم البلدان، 422/1.
([3]) العظيمي، ابو عبد الله محمد بن علي، تاريخ العظيمي، تحقيق: علي سويم، (انقرة، 1988م)، ص5.
([4]) الراوندي، محمد بن علي بن سليمان، راحة الصدور واية السرور، تصحيح، محمد اقبال، مطبعة ابريل (ليدن، 1921م)، ص104؛ الحسيني، صدرالدين علي بن ناصر، زبدة التواريخ اخبار الامراء والملوك السلجوقية، تحقيق: محمد نورالدين، دار اقرأ، ط1(بيروت، 1985م)، ص93.
([5]) الراوندي، راحة الصدور، ص119-120؛ الحسيني، زبدة التواريخ ، ص103.
([6])الراوندي، راحة الصدور، ص123؛ الحسيني، زبدة التواريخ، ص114؛ منجم باشي، جامع الدول، 330/6.
([7]) ابن حوقل، صورة الأرض، ص375؛ ابن الاثير، الكامل، 265/5؛ دياب، المسلمون وجهادهم ضد الروم، ص72.
([8]) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص140؛ ابن الاثير، الكامل، 335/1 .
([9]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 154/4؛ ابن الاثير، الكامل، 27/3-28 .
([10]) الرمزي، تلفيق الاخبار، 189/1.

وهاجم الخزر جنوب القفجاق بعد ذلك الانقطاع الطويل سنة (417هـ/1026م)، وحاصروا فيه مدينة شمكور[1]، إلا ان المسلمين تمكنوا من طردهم خارج البلاد بعد ان اثخنوا بهم القتل وغنموا معسكرهم، والظاهر ان عملية طرد الخزر استمرت مدة طويلة، فقد عادوا إلى بلادهم سنة (418هـ/1027م) [2].

كانت تلك الحملة هي آخر المواجهات المباشرة بين الخزر والمسلمين في جنوب القفجاق، إذ اخذوا يشتركون كمرتزقة مع الارمن والكرج والبيزنطيين والروس وغيرهم من الاجناس في هجماتهم على مناطق نفوذ المسلمين في جنوب القفجاق [3]، إذ كان الخزر وغيرهم يتحركون ضد المسلمين حسب طلب الدولة البيزنطية وكلما تعرضت إلى ضغوط الدولة الإسلامية من مناطق الثغور.

اما بالنسبة لشمال القفجاق فقد كانت سياسة الدولة البيزنطية قائمة على ضرب دولها الواحدة بالاخرى بحسب ما يصب في مصلحتها، وكانت تتحكم بالخزر والروس والبجناك واللان وغيرهم ممن سكن تلك المناطق[4]، وعندما انتشر الإسلام في وسط بلغار اتل(الفولغا) في شمال القفجاق عن طريق التجار وغيرها من الطرق[5]، بادرت الدولة البيزنطية الى كسب شعوب شمال القفجاق من الخزر والروس وغيرهم الى جانبها من خلال ربطهم بالديانة المسيحية ومصاهرتهم لتوثيق صلة التحالف معهم وقد حققت نجاحاً كبيراً في كسب الخزر والروس بالذات[6].

صار الخزر هم المتصدين للمسلمين في شمال القفجاق نيابة عن الدولة البيزنطية بما عقدت بينهم من تحالفات، فقد اظهر الخزر العداء لبلغار الفولغا ولاسيما بعد دخولهم في الإسلام فكانوا كثيري الاغارة على بلادهم ويجبرونهم على دفع الضرائب مما دفع بملك البلغار ان يستنجد بالخليفة المقتدر بالله (295-320هـ/908-932م) الذي لم يقدم له سوى بعثة وبعض الهدايا[7]، وبعد انتهاء دولة الخزر على يد الروس بسبب حياد الخزر عن المعركة التي دارت بين الروس والمسلمين بعد عودتهم من غزو جنوب القفجاق وخسارتهم لها، بدأ الروس والبيزنطيون يشكلون تحالفاً بسبب مارأوه من قوة المسلمين في شمال القفجاق ومما قد يشكلوه مستقبلاً من خطر على تخوم الدولة البيزنطية الشمالية وتخاذل الخزر عن مساندتهم، فتحالف الطرفان على مقاتلة الخزر وانهاء وجودهم وتم ذلك في منتصف القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي)[8]، فتولى الروس امر مقاتلة المسلمين في شمال القفجاق بالتحالف مع الدولة البيزنطية وهو ما سيأتي ذكره في محله من البحث.

التحالف مع الممالك الجبلية

اكثر ما تعرض له المسلمون من أذى في القرن (الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي)، على يد الممالك المحاذية لشمال وجنوب جبل القفجاق إذ سار ملك الابخاز بقواته سنة (417هـ/1026م) وتمكن من دخول بلاد أران إلى أن وصل مدينة شمكور وحاصرها لايام عدة، ثم تمكن المسلمون من طرده واجبروه على أن يعود إلى بلاده[9].

واتفق السرير[10] واللان[11] في سنة (423هـ/1031م) على مهاجمة بلاد شروان، وقد هجموا باعداد كبيرة واستقروا اكثر من عشرة ايام في اراضيها، يجمعون فيها الغلات والاموال وانصرفوا إلى بلادهم عائدين محملين بالغنائم، إلا ان المسلمين في مدينة باب الابواب وثبوا عليهم وسدوا الطرق والمضايق، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، واستحصلوا منهم على جميع ما حملوه من غنائم من بلاد شروان وفر شرذمة قليلة منهم ناجين بانفسهم مع ملوكهم [12]، وفي سنة (429هـ/1037م) حاصر ملك الابخاز مدينة تفليس وامتنع اهلها عليه، عندها قرر المقام لاطالة الحصار عليهم فيضطروا إلى تسليم المدينة، ورغم محاولات اهل تفليس الصمود امام ذلك الحصار إلا انهم لم يستطيعوا لنفاذ الميرة لديهم، فارسلوا يستنفرون المسلمين ويستنجدون بهم، فلبى المسلمون نداءهم وساروا اليهم، فانسحب الابخاز عند ذلك دون قتال [13].

([1]) شمكور: قلعة بنواحي اران وهي قريبة من مدينة كنجة، واطلق عليها فيما بعد اسم المتوكلية، الحموي، معجم البلدان، 364/3.

([2]) ابن الاثير، الكامل، 351/7؛ منجم باشي، جامع الدول، 44/11 ؛
Studies in Caucasian, P.21. ،Minorsky

([3]) منجم باشي، جامع الدول، 72/11.

([4]) بروفيروجنتيوس، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ص53-56.

[5]() للمزيد عن انتشار الإسلام في شمال القفجاق ينظر: مرعي، طرق انتشار الإسلام في شمال القفجاق، مجلة الملوية، ص145-168.

[6]() للمزيد عن ذلك ينظر: مرعي، المسيحية في شمال القفجاق حتى منتصف القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، بحث منشور في مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد 13، العدد 4، تشرين الاول 2023، ص1541-1551.

[7]() ابن فضلان، أحمد (ت 309هـ/921م)، رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة، دار السويدي (أبو ظبي: 2003م)، ص80؛ الرمزي، تلفيق الاخبار، 293/1.

([8]) الرمزي، تلفيق الاخبار، 205/1.

([9]) منجم باشي، جامع الدول، 196/6.

([10]) السرير: مملكة تقع في جبل القفقاس يدعى ملكها فيلان شاه، يدين اهلها بالنصرانية، وهي من الممالك التي أنشأها أنو شروان بعد سيطرته على أرمينية، المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1 (بيروت، 2000م)، 205/1.

([11]) اللان: بلاد واسعة وامة كثيرة من بلاد متاخمة للدربند (باب الابواب) في جبل القفقاس، تدين بالنصرانية، المسعودي، مروج الذهب، 205/1؛ الحموي، معجم البلدان، 197/1.

([12]) منجم باشي، جامع الدول، 68/11.

([13]) ابن الاثير، الكامل، 15/8؛ ابن خلدون، تاريخ، 505/4.

وفي منتصف القرن (الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) بدأ الارمن والكرج والدولة البيزنطية يولون الاهتمام بالممالك والدول النصرانية المحيطة بهم، ولاسيما مملكة اللان من خلال ايجاد روابط عائلية قوية بين العوائل الملكية التي كانت تدير شؤون الدول والممالك المحيطة، حتى أصبحت المصاهرة ظاهرة أو عادة سائدة بين الطبقات الحاكمة في تلك البلاد، إذ تزوج الامبراطور البيزنطي باميرة لانية هو وملك الكرج، فاستغل الكرج تلك العلاقة في تحريض حليفهم ملك اللان ضد المسلمين في جنوب القفجاق[1]، وفتحوا لهم ممر داريال سنة(454هـ/1062م) فدخل اللان منه إلى بلاد أران، وقتلوا خلقا كثيرا من اهله وسبوا ما سبوا من النساء والصبية وباعداد هائلة، فكانت تلك الهجمة كارثة جسيمة بالنسبة للمسلمين[2]، كرر اللان هجماتهم ومن الممر نفسه في ذي القعدة سنة (457هـ/1065م)، واجتازوا مدينة شكى إلى بلاد أران، وشنوا غاراتهم قتلا وسلبا ونهبا باموال المسلمين، وهاجموا مدينة شمكور، ومنها إلى مدينة كنجة، ثم قصدوا مدينة برذعة، واقاموا ببابها ثلاثة ايام، وقد استمروا بسيرهم تخريبا يمينا وشمالا إلى ان وصلوا نهر الرس، ثم عادوا إلى ديارهم دون أية مقاومة[3]، هنا يظهر تزامن الهجمات الأخيرة مع وصول السلاجقة إلى جنوب القفجاق وإقليم اران بالتحديد الذي استولى عليه السلاجقة في اول دخولهم، في محاولة للقضاء عليهم الا ان قوة السلاجقة كانت اكبر من ان تقضي عليها ممالك صغيرة.

التحالف مع الروس

نتيجة اهتمام الروس بالتجارة والاقتصاد كان جل اهتمامهم هو السيطرة على طرق التجارة، كون دولتهم معتمدة اعتمادا كليا على التجارة، فبعد ان سيطر الروس على مدينة كييف وطريق الدنيبر، أصبحت دولتهم الوسيطة بين الشمال والجنوب وبين الدولة البيزنطية، ونتيجة لاهمية التجارة مع الدولة الإسلامية وكثرة خيراتها، اصبح الروس يفكرون بالانسياح باتجاه البلاد الإسلامية في جنوب القفجاق، لفتح طريق التجارة معهم[4]. على ذلك الاساس احتك الروس بتلك المناطق عن طريق شن الهجمات العسكرية عليها.

وذكر المسعودي اولى الحملات الروسية على مناطق نفوذ المسلمين في جنوب القفجاق، بعد السنة الثلاثمائة للهجرة دون ان يحدد السنة بعينها، وحصلت تلك الحملة بالاتفاق مع مملكة الخزر لانه لا يمكن للروس المرور إلى مناطق جنوب القفجاق إلا عبر مناطق نفوذ الخزر براً كان ام بحراً، كانت مسيرة الروس بمراكبهم إلى نهر اتل، فوجدوا قوات خزرية شديدة المنعة على ذلك النهر لحمايته من دخول الاغراب أو الاعداء، فارسل الروس إلى خاقان الخزر يستسمحونه في العبور عبر اراضيه للوصول إلى بحر الخزر ومنه إلى الديار الإسلامية، مقابل ان يسهموه بنصف ما يغنمون من المسلمين فوافق خاقان الخزر على ذلك، وانتشرت مراكبهم في بحر الخزر تغزو ما في طريقها من مدن تقع على ساحله، وكانت وجهتهم إلى أذربيجان قاصدين مدينة اردبيل بعد ان اتخذوا من مدينة باكه أو النفاطة الواقعة على ساحل البحر مقرا لهم كلما عادوا من غاراتهم[5].

عاث الروس بمدن أذربيجان واستباحوها قتلا وسلبا وتخريبا، كما احرقوا بعض القرى، وغنموا اموالا كثيرة من ديار المسلمين، وقد كانت تلك الحملة الأولى من نوعها، ونتيجة لاعمال التخريب التي قاموا بها اتحد المسلمون لحربهم وطردوهم من البلاد وحصروهم في الجزائر البحرية القريبة من مدينة باكه، وعندما ركبوا البحر قاصدين الروس، مال الروس عليهم من جديد لغزو الأراضي الإسلامية، واقاموا على حال السلب والنهب لاشهر طويلة، حتى سئموا البقاء فقرروا المسير إلى بلادهم[6]، وفي تلك الحقبة أي القرن (الرابع الهجري/العاشر الميلادي) لاحظنا قوة الدولة البيزنطية وتغيير سياستها القائمة على الدفاع الى الهجوم على المسلمين واستطاعت ان تسترد أراضي ارمينية والكرج التي فقدتها بعد الفتوحات الإسلامية الأولى، فقد كانت حملات الروس تضعف المسلمين نوعاً ما امام البيزنطيين.

كان طريق عودتهم هو الطريق نفسه الذي جاءوا منه، ووفي اثناء مسيرهم تصدى لهم المسلمون في بلاد الخزر العاملون تحت يد ملك الخزر إذ طلبوا منه ان يطلق يدهم ضد الروس، رداً على ما فعلوه بإخوانهم المسلمين في جنوب القفجاق، فوافق خاقان الخزر على مطلبهم، واعلم الروس بما عزم عليه المسلمون من امر قتال الروس، والتقى الطرفان عند مصب نهر اتل في بحر الخزر، وقد ساندهم اهالي برطاس وبلغار من المسلمين المحيطين بالخزر في قتال الروس، ونجحوا بعد ثلاثة ايام من القتال من كسر الروس والانتصار عليهم، وحازوا على ما لديهم من اموال وغنائم بعد ان اجبروهم على الهرب بمراكبهم عبر نهر اتل إلى بلادهم[7].

وخلص المسلمون من شرهم حتى سنة (332هـ/943م)، إذ عادوا الكرة بهجمة همجية أخرى استهدفت جنوب القفجاق الإسلامية، منحدرين بالطريق نفسه الذي جاءوا منه اول مرة، وركبوا نهر الكر بعد قطعهم لبحر الخزر قاصدين مدينة برذعة[8]، ولما علم بهم المسلمون، توجهوا لقتالهم في ثلاثة آلاف مقاتل، كما توجه العديد من المتطوعة من البلاد الإسلامية المجاورة لغرض الجهاد والبالغ

(1) احمد، لقاء الكرد واللان، ص244.
(2) منجم باشي، جامع الدول، 201/6؛ احمد، لقاء الكرد واللان، ص245.
(3) منجم باشي، جامع الدول، 201/6-202.
(4) Vernadsky: G: Ancient Russia, (New Haven, 1954), P. 261.
(5) المسعودي، مروج الذهب، 195/1-196.
(6) المسعودي، مروج الذهب، 196/1.
(7)المسعودي، مروج الذهب ، 197/1؛ الرمزي، تلفيق الاخبار، 195/1.
(8) برذعة: بلد باقصى اذربيجان مع تخوم اران ومعناه بالفارسية موقع السبي فقد كان الفرس ينزلون سبي ارمينية فيها، الحموي، معجم البلدان، 379/1.

عددهم خمسة آلاف مقاتل، والتقوا مع الروسية على مشارف مدينة برذعة، وما هي إلا ساعة حتى انسحب جيش المسلمين امام الروس لشدة بأسهم في القتال فدخل الروس مدينة برذعة وعسكروا فيها[1].

كان المسلمون يغيرون على الروس بين الحين والآخر في اثناء استقرارهم في مدينة برذعة، فيخرج الروس اليهم ويهزمونهم، وقد كان اهل برذعة من الداخل يشاركون اخوانهم المسلمين في قتالهم برميهم للروس بالحجارة، فتقدم الروس وقالوا لهم: "لا منازعة بيننا وبينكم في الدين وانما نطلب الملك وعلينا ان نحسن السيرة وعليكم حسن الطاعة .. وطلبوا منهم بان يضبطوا انفسهم ولا يدخلوا بين السلطان وبينهم فيقبل اهل السلامة منهم خاصة فاما العامة ومعظم الرعاع فكانوا لا يضبطون انفسهم ويظهرون ما في نفوسهم ويتعرضون لهم إذا حمل عليهم اصحاب السلطان"[2]، عندئذ طلب الروس من اهل المدينة مغادرتها في أثناء ثلاثة ايام فخرج منهم من كان عاقلاً وهم نفر يسير، وبقي الاغلبية فوضع الروس السيوف فيهم وقتلوا خلقاً كثيراً منهم، إلا من فدى نفسه بالمال[3]، ان تصريح الروس بالملك امر خطير فلم يكن الامر كما ادعى المؤرخ الروسي فرنادسكي بانه فتح طرق للتجارة مع المسلمين، وانما كان الامر يتعلق بالملك والسيطرة على جنوب القفجاق وتقويض الحكم الإسلامي فيه بما يصب في مصلحة الروس والبيزنطيين معاً.

فبلغ المصاب على المسلمين ما بلغ، واعلنوا النفير العام، فجاءتهم المتطوعة من كل ناحية، فساروا في عدد كبير من المقاتلين، وهاجموا الروس في اكثر من موقع اياماً كثيرة، فكانت الهزيمة والدائرة على المسلمين دائماً، إلى ان تدبروا امرهم وفكروا في الحيلة والمكيدة بان يضعوا لهم الكمائن، واتفق في تلك الاونة ان اصاب الروس الوباء نتيجة اكلهم للفاكهة في مدينة المراغة[4]، وتحصن الروس على اثر ذلك ولم يخرجوا من معاقلهم إلى ان زاد بهم الوباء وكثر فيهم الموت، فحملوا ما امكنهم من الاموال والغنائم وساروا إلى نهر الكر حيث تركوا سفنهم، وركبوها منطلقين إلى بلادهم، فكفى الله المسلمين شرهم [5].

وفي سنة (421هـ/1030م) هاجم الروس عن طريق بحر قزوين، وقابلهم المسلمون عند مدينة باكو فتكبدوا خسائر فادحة، واكمل الروس مسيرهم إلى نهر الكر، و حاول المسلمون ان يكمنوا لهم على نهر الرس ليمنعوهم من الصعود إلى اراضيهم في شروان لكن دون جدوى، إذ هزمهم الروس أيضا على ذلك النهر، فاضطر المسلمون الى اعلان النفير العام، وهاجموا الروس وصبروا على مقاتلتهم إلى ان تمكنوا من طردهم خارج البلاد، وقد سلك الروس في طريق عودتهم البحر الاسود وبذلك يكونون قد اكملوا دورة كاملة في القفجاق[6]، ان طريق عودتهم من خلال البحر الأسود الواقع تحت سيطرة الدولة البيزنطية لايمكن ان يكون الا بعد ان يجتازوا مناطق نفوذ الإمارات الارمنية والكرجية الواقعة ما بين أراضي المسلمين والدولة البيزنطية، دلالة واضحة جدا على تعاون واتفاق الدويلات المسيحية على العموم من اجل اضعاف الحكم الإسلامي في بلاد القفجاق.

ويبدوا ان تقاربا حصل بين الروس والدولة البيزنطية والارمن والكرج في القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، إذ بدأت حملات الروس تتزامن مع ضغط المسلمين على الارمن والكرج، واشتركوا بشكل مباشر معهم في بعض الحملات، كما حصل في حملات الدولة البيزنطية على جنوب القفجاق سنة (423هـ/1031م)[7].

اتجه الروس واللان سنة (423هـ/1031م) إلى مدينة شروان[8]، والحقوا بها دمارا كبيرا واسروا من اهلها ناساً كثيرين وغنموا اموالا جمة وفي طريق عودتهم من مدينة باب الابواب، اتفق مسلمو جنوب القفجاق على قتالهم، فاغلقوا الابواب بوجههم وبذلك انحصروا بين الجبل والقوى الإسلامية، والتقوا بهم قرب مدينة باب الابواب ودارت رحى معركة قوية كسرت بها شوكة الروس، لما لحق بهم من خسائر واضعاف لهيبتهم، لم تجر عليهم من قبل[9]، وفي سنة (424هـ/1032م) كانت هناك حملة اخرى مشتركة ما بين الروس واللان انتقاما لما لاقوه من خسائر في السنوات السابقة عند مدينة باب الابواب، غير انهم لاقوا اتحادا ثانيا من قبل المسلمين كسر جيوشهم، فولوا منهزمين إلى بلادهم[10]، وعدت الهجمات التي قام بها الروس في سنة (423هـ/1031م) وسنة (424هـ/1032م) بالاشتراك مع اللان من أهم الحملات بالنسبة للمسلمين لانها قد كسرت شوكتهم وانهت اطماعهم في البلاد الإسلامية، فلم يبدر منهم بعد ذلك هجوم بشكل منفرد، بعد تلك الحملة سكتت المصادر التاريخية المتوافرة عن ذكر الروس وهجماتهم على البلاد الإسلامية في جنوب القفجاق، سوى مشاركاتهم مع القوى المعادية مثل الارمن والكرج والدولة البيزنطية، وقد كانت الحملات والغارات المتكررة التي شنتها الدول المذكورة، ما هي إلا

---

(1) ابن مسكويه، تجارب الامم، 62/2-63؛ ابن الاثير ، الكامل، 297/6؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 208/11.

(2) ابن مسكويه، تجارب الامم، 63/2 .

(3) ابن مسكويه، تجارب الامم، 63/2-64؛ ابن الاثير، الكامل، 297/6-298؛ منجم باشي، جامع الدول، 175/6-177.

(4) المراغة: هي من اشهر البلاد في أذربيجان وسميت بالمراغة لكثرة تمرغ خيل مروان بن محمد بن مروان الاموي بها فاطلقوا عليها هذه التسمية، الحموي، معجم البلدان، 93/5.

(5) ابن مسكويه ، تجارب الامم ، 64/2-65-66؛ ابن الاثير، الكامل، 298/6؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 208/11.

(6) منجم باشي، جامع الدول، 199/6.

(7) احمد، لقاء الكرد واللان، ص240 .

(8) شروان: مدينة من نواحي باب الابواب بناها كسرى انو شروان فسميت باسمه، الحموي، معجم البلدان، 339/3.

(9) Minorsky، A History of Sharvan and Darband in the 10th-11th Centuries, (Cambridge, 1958), P. 115-116.

(10) منجم باشي، جامع الدول، 68/11.

بداية لظهور الحركة الصليبية في بلاد القفجاق التي بدأت على اثر سيطرة السلاجقة على جنوب القفجاق في نهاية القرن (الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي).

اما على الجانب الآخر في شمال القفجاق فقد كانت دولة البلغار هي الدولة الوحيدة الرافعة للواء الإسلام لذا فقد كانت هدفاً للدولة البيزنطية من خلال حلفائها الروس للحد من انتشار الإسلام في شمال القفجاق وتهديده لتخوم الدولة البيزنطية من جهة الشمال، فتصدر الروس لمقاتلتهم بعد ان تخلصوا من الخزر كما ذكرنا سابقاً، إذ غزا الروس دولة البلغار في سنة (372هـ/ 982م) وانتهت المعركة بعقد الصلح بين الطرفين، وغزوهم مرة أخرى سنة (481هـ/1088م) واستحوذوا على قلعة مورم التابعة للبلغار، وعاودوا الكرة مرة أخرى في سنة (514هـ/1120م) وسلبوا منهم الغنائم وعادوا الى بلادهم، وفي سنة (556هـ/1160م) غزا الروس البلغار وتمكنوا من السيطرة على قلعة إبراهيم الواقعة على نهر كاما وهزموا جيوش البلغار واحرقوا اعلامهم وبعض بلادهم وجعلوا يوم انتصارهم عيداً معظماً في كنائسهم، وتلاحقت بعدها الغزوات بكثرة الى دولة البلغار الى ان جاء التتار في بداية القرن (السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي) وتمكنوا من فرض سيطرتهم عليها فانتهت غزوات الروس ومن حالفهم[1]، واصبحوا في مواجهة مباشرة مع مغول القفجاق.

خامساً- سياسة بيزنطة تجاه السلاجقة في جنوب القفجاق

كان انتصار السلاجقة في معركة ملاذ كرد قد شجعهم على التوغل في بلاد الاناضول التابعة للدولة البيزنطية بشكل مباشر، واسسوا دولتهم المشهورة باسم سلاجقة الروم واتخذوا من مدينة قونية عاصمة لهم، وامام ذلك الخطر الذي راته الدولة البيزنطية من السلاجقة بدأت تتخذ خططاً وأساليب للحد منه لغرض استعادة ما فقدته من أراضٍ.

لكن الدولة السلجوقية قد شهدت بعض الضعف بعد وفاة ملكشاه السلجوقي سنة (485هـ/1092م)[2]، واستقل سليمان بن قتلمش بحكمه في الأراضي التي افتتحها في بلاد الاناضول، إذ فتح مدينة نيقية واتخذها عاصمة لدولته سنة (474هـ/ 1018م)، واستحوذ على قونية من بعدها وجعل منها السلطان قلج أرسلان الأول عاصمة لدولة سلاجقة الروم سنة (485هـ/1092م)[3]، ولما رات الدولة البيزنطية مدى قوة السلاجقة التجأت الى سياسة جديدة لحفظ تخومها الشرقية دون المواجهة المباشرة بمفردها مع ذلك الخطر فلم تعد لديها القدرة على صد السلاجقة، إذ حرك البيزنطيون حلفاءهم الكرج من جهة شمال ارمينية لإرباك وزعزعة حكم السلاجقة في جنوب القفجاق فقام هولاء بالمقابل بالعديد من الحملات على السلاجقة وتمكنوا من استعادة سيطرتهم على مملكة جورجيا ووصلوا بعد صراع طويل امتد الى سنة (623هـ/1228م) الى إقليم اران وخلاط واذربيجان، وساعدوا الأرمن في استعادة مدينتي اني ودوين[4].

اما الأرمن فبعد استيلاء السلاجقة على مدنهم هاجروا إلى منطقة قليقيا وشكلوا هناك مملكة ارمينية الصغرى وقد رحبت الدولة البيزنطية بهم ومنحتهم أراضي واسعة، مستفيدة من ذلك في حماية تخومها الشرقية من السلاجقة فقد شكلوا حاجزاً ما بين السلاجقة والبيزنطيين[5]، وأخذوا يغيرون على السلاجقة لاسترجاع أراضيهم التي سلبت منهم[6]، وقد استغلت الدولة البيزنطية الاتراك والارمن في قليقيا بالتحالف مع الطرفين تارة مع هذا وتارة مع ذاك لإضعاف الطرفين وابعادهم عن أراضيها[7].

انتهجت الدولة البيزنطية سياسة جديدة نلاحظ من خلالها مدى الضعف الذي وصلت اليه، إذ بدات تراسل الغرب الأوربي في عهد الامبراطور الكسيوس كومنين(474-512هـ/1081-1118م)، لمساندتهم فخاطب الامبراطور الكسيوس البابا اوربان الثاني (381-493هـ /1088-1099م) لخطورة الامر فاستجاب له البابا وعقد اجتماعاً في مدينة كليرمونت الفرنسية سنة(488هـ/1095م) ونتج عن ذلك الاجتماع الموافقة على ارسال الحملة الصليبية الأولى التي اكتمل وصولها إلى القسطنطينية سنة(490هـ /1097م)، وعندما وصلت اجتمع الامبراطور الكسيوس مع امراء الحملة واخذ عليهم العهود والايمان على ان يعيدوا ما للدولة البيزنطية من أراضٍ بحوزة السلاجقة، واما ما يستولون عليه من غيرها فهو لهم فاقسموا عى ذلك وانطلقت الحملة باتجاه مدينة نيقية وتمكنوا من اخذها من السلاجقة وسلمت الى البيزنطيين(8)، وتحركت الحملة من نيقية الى قونية وتمكنت من طرد السلاجقة منها ثم توجهت بعد ذلك الى الجهة الشمالية الشرقية نحو قيصرية ومنها باتجاه جبال طوروس والجزيرة الفراتية وبلاد الشام(9)، وبهذا الطريق الذي اتخذه الصليبيون في مسيرهم إلى بلاد الشام اصبحوا يشكلون عازلاً او خطاً دفاعياً حاجزاً مابين السلاجقة واراضي الدولة البيزنطية.

---

(1) الرمزي، تلفيق الاخبار، 303/1-307.
(2) الحسيني، زبدة التواريخ، ص316؛ الحموي، معجم البلدان، 125/2.
(3) طقوش، محمد سهيل، تاريخ سلاجقة الروم في اسيا الصغرى، دار النفائس، ط2(بيروت، 2008م)، ص57-59.
(4) ابن الاثير 414/12-436؛ الحموي، معجم البلدان، 36/2-37 صبرة، دراسات، ص330.
(5)Grousset, History DL Armenia, P. 43.
(6) الرهاوي، متى، تاريخ متى الرهاوي، ترجمة وتعليق: محمود محمد الرويضي و عبدالرحيم مصطفى، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، ط1(عمان، 2012م)، ص101.
(7) طقوش، تاريخ سلاجقة الروم، ص157.
(8) الرهاوي، تاريخ متى، ص68-70.
(9) رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد البا العريني، دار الثقافة (بيروت، 1997م)، 268/1-272.

بعد تلك الاحداث اصبح السلاجقة في موقف ضعيف وزاد من هذا الضعف وفاة السلطان قلج أرسلان الأول وتنازع الامراء السلاجقة على السلطة، فقد استطاعت الدولة البيزنطية جراء ذلك من استعادة أراضيها وقسم من مناطق نفوذها في ارمينية بعد طرد السلاجقة من بلاد الاناضول[1]، وقد بقي الحال على ماهو عليه باستثناء عمليات كر وفر بين الطرفين بسبب الوجود الصليبي الذي اضعف كلا الطرفين الى ان جاء المغول وتمكنوا من فرض سيطرتهم على بلاد القفجاق شمالاً وجنوباً بدءاً من سنة (620-638هـ/1223-1241م)[2].

سادساً- سياسة بيزنطة تجاه المغول في بلاد القفجاق

ما ان وصل المغول إلى جنوب القفجاق وفرضوا سيطرتهم عليه حتى شعرت الدولة البيزنطية بخطر اعظم من جميع ما سبقه من اخطار مرت بها في بلاد القفجاق، فاسرع الامبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن الى توثيق العلاقة بهم اتقاء لشرهم، وقد كان هولاكو يرى ان المصلحة تقتضي التحالف معهم لما له من أهمية في إيجاد توازن سياسي بين القوى المختلفة الموجودة في بلاد القفجاق والاناضول وبلاد الشام المتمثلة بالمماليك والسلاجقة والكرج ومغول شمال القفجاق[3]

وعندما حصل الخلاف بين هولاكو ملك جنوب القفجاق، وبركة خان ملك شمال القفجاق على اثر اعتناق الأخير للدين الإسلامي وتواصله وتحالفه مع دولة المماليك في مصر، أراد هولاكو زيادة أواصر التحالف مع الدولة البيزنطية التي كانت ضد أي وجود إسلامي في بلاد القفجاق، فطلب من الامبراطور البيزنطي ان يزوجه ابنته، فوافق الأخير على مطلب هولاكو وزوجه من ابنته غير الشرعية واحتجز رسل سلطان المماليك المتوجهين إلى بركة خان في تلك المدة[4]، ووقف الامبراطور البيزنطي إلى جانبه ضد الملك بركة خان الذي غضب من ذلك الموقف وقرر التحالف مع ملك البلغار وتصدى لتحالف مغول جنوب القفجاق والدولة البيزنطية وتمكن من هزيمتهم شر هزيمة، على اثر تلك الخسارة قرر الامبراطور البيزنطي الابتعاد عن هولاكو ومغول جنوب القفجاق وترك تحالفه معهم ولم يعد اليه، بل قام بالتقرب من بركة خان وزوج ابنته غير الشرعية الاخرى لاحد قواده وبهذا يكون قد وثق علاقته بالطرف الأقوى الا وهو الدولة المملوكية في مصر ومغول شمال القفجاق[5].

وذهب إلى ابعد من ذلك بان عقد اتفاقاً مع الدولة المملوكية سنة(680هـ/1281م) يقتضي فيه عدم التعرض لتجار ورسل الدولة المملوكية او حلفائها، ولاسيما مملكة مغول شمال القفجاق وان لا يحرض احداً عليهم فضلاً عن الكثير من التفاصيل الأخرى[6]، وفي نهاية القرن (السابع الهجري والنصف الأول من القرن الثامن الهجري) اعلن غازان خان الإسلام في جنوب القفجاق وسبقه إلى ذلك مغول شمال القفجاق، ولاسيما عندما اعلنوا الإسلام ديناً رسمياً لبلادهم في عهد الملك اوزبك خان(712-742هـ/1313-1342م)[7]، وبذلك قد ضربوا امال الدولة البيزنطية في ابعاد خطر امتداد المسلمين عن القفجاق على الرغم من عملها الدائب لكسبهم إلى الديانة المسيحية من خلال العديد من البعثات والسفارات التي أرسلت لذلك الغرض الا انها لم تُجدِ نفعاً معهم[8]

الخاتمة:

نخلص إلى القول من كل ما تقدم الى ان الدولة البيزنطية لم تخرج بنتيجة بالنسبة لبلاد القفجاق من خلال حملاتها الطويلة التي استنزفت مواردها على مدى سبعة قرون من الزمان لا بل عرضت نفسها الى الاخطار كما حصل عندما استدعت الصليبيين لقتال السلاجقة، لكنها بالمقابل استطاعت ان تنجح في ايقاف تقدم المسلمين الى بلاد الاناضول لعدة قرون، بدءاً من القرن (الأول الهجري/السابع الميلادي الى القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي)، بفضل سياستها التي استخدمتها مع كل الشعوب المستقرة في بلاد القفجاق، وجعلت من جنوب القفجاق وشماله ارضاً غير مستقرة ولم يهنأ بحكمها المسلمون طيلة استقرارهم فيها.

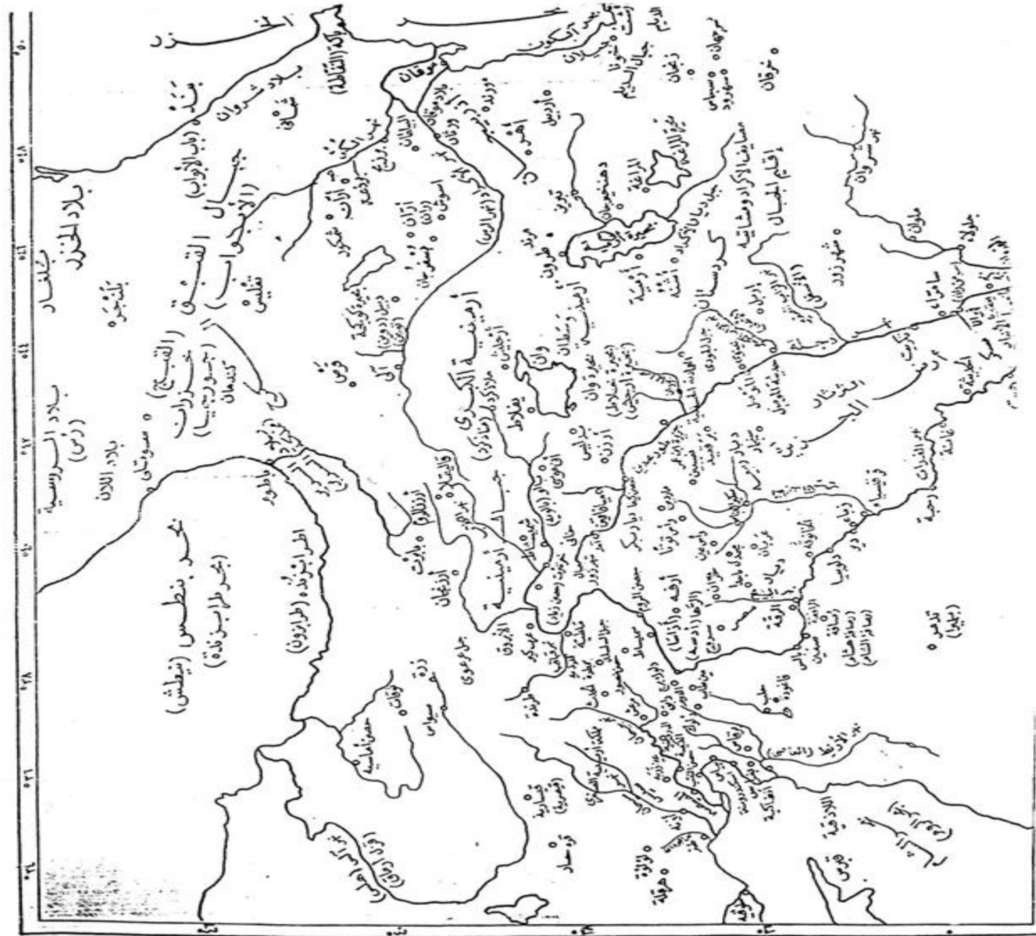
كما تبينت قوة البيزنطيين في الجانب السياسي من خلال ادارتهم لحلقة الصراعات العسكرية في بلاد القفجاق بشقيها الشمالي والجنوبي، وكيفية الاستجابة للتحديات المختلفة كلما ظهرت قوى جديدة على الميدان التاريخي وكيفية التعامل معها، والتي أدت إلى حدوث تغييرات على الخارطة السياسية للمنطقة مثل نهاية دولة الخزر، فضلاً عن التغييرات الديموغرافية التي حصلت بسبب هجرة بعض الشعوب مثل الأرمن والترك إلى داخل أراضي الدولة البيزنطية، اما على صعيد الجانب الديني فقد اوجدت بيزنطة عوضاً عنها حامياً للمسيحية في شمال القفجاق مثل الروس.

كان هناك تباين واضح في سياسة الدولة البيزنطية تجاه القفجاق من حيث القوة والضعف، فلم تستطع في القرون الهجرية الثلاثة الأولى من الدفاع او حماية أراضيها التي استولت عليها في ارمينية وبلاد الكرج بل تركتها للمسلمين، وذلك يعود إِلى الضغط الإسلامي

([1]) غيفونيان، دراسات استشراقية، ص289؛ طقوش، تاريخ سلاجقة الروم، 110.
([2]) عمران، المغول، ص ص40، 48.
([3]) الرمزي، تلفيق الاخبار، 434/1؛ عمران، المغول، ص71.
([4]) الرمزي، تلفيق الاخبار، 434/1.
([5]) عبيد، الإمبراطورية البيزنطية، ص62.
([6]) للمزيد من التفاصيل عن هذه المعاهدة ينظر: القلقشندي، ابي العباس احمد، صبح الاعشى في كتابة الانشا، دار الكتب المصرية (القاهرة، 1922م)، 72/14-78
([7]) الرمزي، تلفيق الاخبار، 464/1
([8]) للمزيد من التفاصيل عن تلك البعثات والسفارات ينظر: رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 446/3-448 ,511/3-512؛ عمران، المغول والاوربيون والصليبيون، ص293-294.

على تخومها من جهة بلاد الشام والجزيرة الفراتية فضلاً عن مشاكلها الداخلية، واصبح الامر معكوساً في القرون الثلاثة التي تلتها فقد أصبحت من القوة في التحكم بجبهة جنوب القفجاق حتى مجيء المغول بعد منتصف القرن (السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي)، والسبب في ذلك يعود إلى ضعف الدولة الإسلامية من خلال طمع الولاة في الاستقلال بولاياتهم عنها وتمرد شعوب القفجاق التي كانت تحت حكمها واتكائها على الدولة البيزنطية.

ان مجيء المغول إلى القفجاق وسيطرتهم عليه ثم دخولهم في الإسلام واعلانه ديناً رسمياً لبلاد القفجاق، كان ضربة قاضية للدولة البيزنطية، فقد قطعوا اذرعها التي كانت تعتمد وتستند إليها في ضرب الوجود الإسلامي في بلاد القفجاق مثل الروس والارمن والكرج وغيرهم، إذ اصبح مغول شمال القفجاق حائلاً امام الروس في وصولهم الى جنوب القفجاق، اما الأرمن والكرج فقد صاروا خاضعين لحكم مغول جنوب القفجاق.



[اكتب اقتباساً من المستند أو من ملخص نقطة هامة. يمكنك وضع مربع النص في أي مكان في المستند. استخدم علامة التبويب "أدوات الرسم" لتغيير تنسيق مربع نص الاقتباس.]



خارطة شمال القفجاق نقلاً عن: ارثر كويستلر، امبراطورية الخزر وميراثها – بتصرف

Reference:

1. The Life and Death of Byzantium, North Holland, Publishing, (New York, 1977).
- Grosset, Rune
2. History De IArmenia, (Paris, 1973).
- MeLvin, C. Wren
3. The Course of Russian History third edition, (London, N/D).
- Minorsky, V
4. Studies in Caucasian History, Talor's foreign Press (Oxfor, 1968).
5. A History of Sharvan and Darband in the 10th-11th Centuries, (Cambridge, 1958).
- Vazilive, A.A
6. History of Byzantine Empire, Print Peria (Athens, 1985).
   1. Vernadsky, G
7. Ancient Russia, (New Haven, 1954).

List of sources and references

First: Primary sources

- Ibn al-Athir, Izz al-Din Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karm (d. 630 AH/1232 AD)

1. Al-Kamil fi al-Tarikh, Dar Sadir (Beirut, 1965 AD).

- Al-Antaki, Yahya ibn Saeed ibn Yahya (d. 458 AH/1067 AD)

2. Tarikh al-Antaki, edited by: Omar Abdul Salam Tadmuri, Gross Press (Lebanon, 1990 AD).

- Prophyrogenitus, Constantine (d. 348 AH/959 AD)
3. The Administration of the Byzantine Empire, Presentation, Analysis and Commentary: Mahmoud Saeed Omran, Dar Al-Nahda Al-Arabiya (Beirut, 1980 AD).
- Ibn Battuq, Saeed (d. 329 AH/940 AD)
4. The Collected History on Investigation and Authentication, Jesuit Fathers Press (Aleppo, 1905 AD).
- Al-Baladhuri, Abu Al-Hassan (d. 279 AH/892 AD)
5. Futuh Al-Buldan, Supervised by: Heritage Investigation Committee, Al-Hilal Library, 1st ed. (Beirut, 1983 AD).
- Al-Husayni, Sadr Al-Din Bin Ali (d. 624 AH/1226 AD)
6. Zubdat Al-Tawarikh News of Seljuk Princes and Kings, Investigation: Muhammad Nur Al-Din, Dar Iqra, 1st ed. (Beirut, 1985 AD).
- Al-Hamawi, Shihab Al-Din Abi Abdullah Yaqut Bin Abdullah (d. 626 AH/1228 AD)
7. Dictionary of Countries, Dar Sadir (Beirut, 1977 AD).
- Ibn Hawqal, Abu al-Qasim (d. 367 AH/977 AD)
8. Image of the Earth, Dar Maktabat al-Hayat (Beirut, 1979 AD).
- Ibn Khordadbeh, Abu al-Qasim Ubayd Allah (d. 300 AH/912 AD)
9. Paths and Kingdoms, April Press (Leiden, 1927 AD).
- Ibn Khaldun, Abd al-Rahman al-Hadrami (d. 808 AH/1405 AD)
10. History of Ibn Khaldun, Jamal Foundation for Printing and Publishing (Beirut, 1979 AD).
- Ibn Khayyat, Abu Amr Khalifa, (d. 240 AH/855 AD)
11. History of Khalifa bin Khayyat, reviewed by: Mustafa Najib Fawaz and Hikmat Kashli Fawaz, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1st ed. (Beirut, 1995 AD).
- Al-Rawandi, Muhammad bin Ali bin Sulayman (d. 603 AH/1307 AD)
12. Rahat Al-Sudur wa Ayat Al-Surur, edited by: Muhammad Iqbal, April Press (Leiden, 1921 AD).
- Al-Ramzi, M, M (d. 1130 AH/1717 AD)
13. Fabrication of News and Inoculation of Monuments in the Events of Qazān, Bulgar, and the Kings of the Tatars, presented, commented on, and indexed by: Ibrahim Shams Al-Din, Publications of Muhammad Ali Baydūn, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1st ed. (Beirut, 2002 AD).
- Al-Rahawi, Matta (d. after 632 AH/1234 AD)
14. History of Matta Al-Rahawi, translated and annotated by: Mahmoud Muhammad Al-Ruwaidi and Abdul Rahim Mustafa, Hamada Foundation for University Studies, Publishing and Distribution, 1st ed. (Amman, 2012 AD)
- Al-Tabari, Muhammad bin Jarir (d. 310 AH/922 AD)
15. History of the Prophets and Kings, edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Maaref, 4th ed. (Cairo, 1979 AD).
- Ibn Al-Ibri, Gregory of Malta (d. 4 AH/10 AD)
16. A Brief History of States, supervised by Father Anton Sahifi, the Jesuit, Catholic Press (Beirut, 1958 AD).
- Al-Azimi, Abu Abdullah Muhammad bin Ali (d. 557 AH/1160 AD)
17. History of Al-Azimi, edited by: Ali Suwaim, (Ankara, 1988 AD).
- Ibn Fadlan, Ahmad (d. 309 AH/921 AD)
18. Ibn Fadlan's Journey to the Lands of the Turks, Russians and Slavs, Dar Al-Suwaidi (Abu Dhabi, 2003 AD).
- Ibn Al-Faqih, Abu Bakr Ahmad bin Ibrahim Al-Hamdani (d. 365 AH/975 AD)

19. A Summary of the Book of Countries, April Press (Leiden, 1885 AD).
- Al-Qalqashandi, Abu Al-Abbas Ahmad (d. 821 AH/1418 AD)
20. Subh Al-A'sha in Writing the Composition, Dar Al-Kutub Al-Masryia (Cairo, 1922 AD).
- Ibn Kathir, Abu al-Fida (d. 774 AH/1372 AD)
21. Al-Bidaya wa al-Nihaya, Maktabat al-Ma'arif, 2nd ed. (Beirut, 1977 AD).
- Al-Mas'udi, Abu al-Hasan Ali ibn al-Husayn (d. 345 AH/956 AD)
22. Al-Tanbih wa al-Ashraf, corrected by: Abdullah Ismail al-Sawi, Dar al-Sawi (Cairo, 1983 AD).
23. Muruj al-Dhahab wa Ma'adin al-Jawhar, investigation and commentary by: Saeed Muhammad al-Lahham, Dar al-Fikr for Printing and Publishing, 1st ed. (Beirut, 2000 AD).
- Al-Marwazi, Sharaf al-Zaman Tahir (d. 6th century AH/12th century AD)
24. Chapters on China, Turkey and India from the Book of Animal Natures, (London, 1942 AD).
- Ibn Maskawayh, Abu Ali Ahmad bin Muhammad (d. 421 AH/1030 AD)
25. The Experiences of Nations and the Succession of Aspirations, (Egypt, 1915 AD).
- Al-Manbiji, Ignabius bin Constantine (d. 4th century AH/10th century AD)
26. Selections from the History of Al-Manbiji, edited by Omar Abdul Salam Tadmuri, Dar Al-Mansour (Beirut, 1986 AD).
- Manjam Bashi, Ahmad bin Issa bin Lutfallah (d. 1113 AH/1702 AD)
27. Jami' Al-Dawla, edited by: Muhammad Harb, Dar Rawae' Al-Kutub, 1st ed. (Damascus, 2023 AD).
- Nicephorus, Patriarch (d. 213 AH/828 AD)
28. Brief History, translated by: Hani Abdul Hadi Al-Basheer, Dar Al-Nahda Al-Arabiya (Cairo, 2007 AD).
- Al-Yaqubi, Ahmad ibn Ishaq (d. 282 AH/904 AD)
29. History of Al-Yaqubi, edited by: Khalil Al-Mansour, Muhammad Ali Baydoun Publications, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah (Beirut, 2002 AD).
Second: Modern References
- Aya Zaw, Muhammad Jamal Sadiq
1. Encyclopedia of the History of the Caucasus and the Circassians, Alaa Al-Din Publications (Damascus, 1996 AD).
- Ahmad, Jamal Rashid
2. Meeting of the Kurds and Alans in the Lands of Bab and Shirvan, 2nd ed., Aras House (Erbil, 2001 AD).
- Ismail, Laila Abdul Jawad
3. The Byzantine State in the Era of Emperor Heraclius and Its Relationship with Muslims, Dar Al-Nahda Al-Arabiya (Beirut, 1985 AD).
- Abu Al-Jadayel, Aisha Saeed Shahata
4. The Byzantine Empire in the Seventh Century AD (First Hijri) A Study of Developments and Changes, Dar Al-Mufradat for Publishing, Distribution and Studies, 1st ed., (Riyadh, 1995).
- Al-Hadith, Qahtan Abdul Sattar and Salah Abdul Hadi Al-Haidari
5. Studies in Sassanid and Byzantine History, University of Basra (Basra, 1986).
- Diab, Saber Mahmoud

6. Muslims and their Jihad against the Romans in Armenia and the Jazira and Levantine Borders during the Fourth Century AH, World Peace Library (Cairo, 1984).
- Runciman, Stephen

7. Byzantine Civilization, translated by: Abdul Aziz Tawfiq Jawid, Printing Press of the Committee for Authorship, Translation and Publication (Cairo, 1961).
8. History of the Crusades, translated by: Mr. Al-Ba Al-Arini, Dar Al-Thaqafa (Beirut, 1997).
- Sayyid, Adeeb
9. Armenia in Arab History, Modern Press, 1st ed. (Aleppo, 1972).
- Sabra, Afif Sayyid, Studies in the History of the Crusades, Dar Al-Kitab Al-Jami'i (Cairo, n.d.).
Taqoush, Muhammad Suhail
10. History of the Seljuks of Rum in Asia Minor, Dar Al-Nafayes, 2nd ed. (Beirut, 2008).
- Ubaid, Ishaq
11. The Byzantine Empire in the Era of Palaiologos (1261-1282), Benghazi University Publications (Libya, n.d.).
- Othman, Fathi
12. The Islamic-Byzantine Borders between Military Friction and Civilizational Contact, National House for Printing and Publishing (Cairo, n.d.).
- Imran, Mahmoud Saeed
13. The Mongols, the Europeans and the Crusaders, Dar Al-Ma'rifah Al-Jami'iyah (Alexandria, 2003).
- Givunian, Aram Tir
14. Orientalist Studies on Armenian-Arab Relations, Translated by: Alexander Ksheshan, Dar Al-Nahj, 1st ed. (Aleppo, 2007).
- Farag, Wissam Abdel Aziz
15. Studies in the History and Civilization of the Byzantine Empire, (PhD, D.T.).
- Mohamed, Tariq Mansour
16. The Picks of Byzantine Thought, Misr Arab Publishing and Distribution, 1st ed. (Cairo, 2002).
- Christensen, Arthur
3. Iran in the Sassanid Era, translated by: Yahya Al-Khashab, reviewed by: Abdul Wahab Azzam, Printing Press of the Committee for Authorship, Translation and Publication (Cairo, 1957).
- Al-Mudawar, Marwan
4. The Armenians Throughout History, (Beirut, 1982).
- Mustafa, Shaker
5. The Abbasid State, Al-Matbouat Publishing Agency (Kuwait, 1973).
Third: Letters and Theses
- Marai, Imad Kamel
1. Arab-Khazar relations until the end of the first Abbasid era, unpublished master's thesis, submitted to the Deanship of the College of Arts, University of Mosul (2002).
Fourth: Research and articles
- Islamic Encyclopedia, translated by: Ahmed Al-Shatnawi and others, Dar Al-Shaab (Cairo, 1969).
1. Iwar: Islamic Encyclopedia, Banu Al-Saj article.
- Al-Douri, Abdul Aziz
2. Arab Geographers and Russia, Journal of the Iraqi Scientific Academy, Baghdad, Volume (13), Year (1966).
- Marai, Imad Kamel

3. Marai, Christianity in Northern Kipchak until the middle of the eighth century AH/fourteenth century AD, a research published in the Journal of the Babylon Center for Human Studies, Volume 13, Issue 4, October 2023.
4. Methods of the spread of Islam in Northern Kipchak, a research published in the Al-Malwiya Journal for Archaeological and Historical Studies, Volume 10, Issue 34 Part 1, November 2023.
Fifth: Foreign sources and references
Brehier, L
8. The Life and Death of Byzantium, North Holland, Publishing, (New York, 1977).
- Grosset, Rune
9. History De IArmenia, (Paris, 1973).
- MeLvin, C. Wren
10. The Course of Russian History third edition, (London, N/D).
- Minorsky, V
11. Studies in Caucasian History, Talor's foreign Press (Oxfor, 1968).
12. A History of Sharvan and Darband in the 10th-11th Centuries, (Cambridge, 1958).
- Vazilive, A.A
13. History of Byzantine Empire, Print Peria (Athens, 1985).
2. Vernadsky, G
14. Ancient Russia, (New Haven, 1954).